دَلالات تَوافق الفواصل فِي نماذج الأَحاديثِ القُدسيَّة

Indications of the conformity of prose in the Divine Hadith patterns

محمد عطاالله محمد ياسين[1]

Mohammad atallha mohammad yassin[1]

DOI: 10.15849/ZJJHSS.221130.07

الملخص

تشكّلُ الفَاصِلَةُ عُنْصرًا أَساسِيًّا مِنْ عَنَاصِرِ اللُّغَةِ الإِيقَاعِيَّةِ. وَالأَحَادِيثُ القُدسِيَّة تَمْتَازُ بِحُسْنِ الإِيقَاعِ، لِذَا تَأْتِي الفَاصِلَةُ فِي نِهَايَةِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّةِ حَامِلَةً تَمَامَ المَعْنَى وَتَمَام التَّوَافُقِ الصَّوْتِيّ فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَالأَحاديثُ القُدسيَّةُ لَمْ يَرِدْ فيهَا حَرْفٌ أَوْ صَوْتٌ، أَوْ كَلمة اعْتباطًا أَوْ لَغْوًا، وَإِنمَا هِيَ كَلِمَات مُختَارة مُنتَقاة مُتَناسِقَة مَع مَوضوع الحَديث، لِذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ تَكونَ لَهُ دِلَالة، أَو وَظِيفَة تَتَناسَبُ مَع السِّياق وَالمَقام.

ولَعَّلَ القَارئ للأَحَاديث القُدسيَّة يَلَمحُ الإِيقَاعَ الموسيقيّ المُنسَجِم مَعَ المَعَنى، مِمّا يُضفِي عَلى الحَديثِ القُدسيّ عنصر التَّشويق وَالمُتَعة النَّفسيَّة لِلقَارِئ، كَمَا تُعَدُّ الفَاصِلَةُ من أَبرزِ الوَسائِلِ الصَّوتِيَّة حُضورًا فِي الأَحادِيثِ القدسيَّة.

الكلمات المفتاحيّة: الفاصلة، الحديث القدسي، توجيه المعنى، الإيقاع، الجرس الموسيقي.

Abstract

The rhymed prose resembles and shapes one of the basic language rhythmic elements. The Divine Hadith is distinguished with the beauty of rhyme. That is why the rhymed prose is located at the end of the Divine Hadith; bearing the perfect meaning and coinciding sounds at the same time Words, sounds or letters don't appear in the divine Hadith in effectively Rather, they are well-chosen and well-arranged to match the idea of the Hadith Therefore, they must have an indication, or function that suits the context and situation the reader may rote the musical rhythm that matches perfectly well the meaning of the Divine Hadith. This sheds sense of fascination and psychological pleasure on the reader, the rhymed prose presence is considered one of the most outstanding means amongst the vocal means in the Divine Hadith. furthermore, there are other meaningful dimensions presented by the vocal rhymed prose. As a result, some of the Divine Hadiths rhyming prose perfectly suit the sought and desired meaning.

Keywords: Rhymed prose, Divine Hadith, Conveying the meaning, Rhythm, Musical tone.

[1]طالب في جامعة العلوم الإسلامية – الأداب والعلوم – اللغة العربية – دراسات لغوية

* للمراسلة: Mah2002pal@hotmail.com

تاريخ استلام البحث: 2022/07/16

تاريخ قبول البحث: 2022/08/30

[1]The World Islamic Science & Education, Faculty of Sciences & Arts, Arabic, linguistic

* Corresponding author: Mah2002pal@hotmail.com

Received: 16/07/2022

Accepted: 30/08/2022

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

المقدمة

تُعَدّ الفَاصلة ركنًا أَساسيًّا فِي تَكوين بِنية الحَديث القدسيّ الإيقاعِيّة، لِما تُحدِثه مِن جرس ينْهَضُ فِي إبرازِ المَعْنَى المُراد، وَقَدْ اعْتَنَى البَلاغيّونَ بهَذَا المَفْهومِ عنَايَةً كَبِيرَةً؛ "لأَنَّ بُروزَ صَوْت بِعَيْنِه فِي نِهَايَة كُلّ فَاصلَةٍ، أَوْ مَقْطَعِ صَوْتيّ وَتكْرَاره فِي أَكْثَر مِنْ مَوْضِعٍ، يُحْدِثُ إيقَاعًا مُعَيَّنًا يَتَكَرَّرُ في ذهْنِ المُتَلَقي، فَإِذَا مَا صَادَفَ تَوَقُّعَ المُتَلَقي تَكْرار ذَلكَ الصَّوْت، أَحْدَثَ نَوْعًا من التَّجَاوبِ الصَّوْتِي بَيْنَ النَّغمَةِ المُتَوَقَّعَة، وَالنَّغمَةِ البَارزَة عَلَى سَطْحِ الصّياغَةِ، ممَّا يُوَلّدُ الشُّعورَ بِالمُتْعَةِ الإيقَاعيَّةِ"[1].

والمُتَأَمِل فِي الأَحَادِيثِ القُدسيَّةِ يَجِدُ قُوَةَ ألفاظه وجزالتها، التِي تَأْتِي مُتَمَكِّنَةً فِي سِيَاقِهَا، وَتُؤَدّي وَظِيفَةً مَعْنَوِيَّةً، وَغَرَضًا مَوْضوعِيًّا فِي السِّياقِ يُدْرِكُهَا النَّاظِرُ وَالمُتَدبّر، كَمَا تُؤَدّي وَظِيفَةً فَنِّيَّةً تُضْفِي عَلَى النَّصِ جَمَالًا نَغَمِيًّا.

أهم الدراسات السابِقة

لَمْ أَقف –فِي حُدودِ إطِّلاعِي– عَلَى دِرَاسات تَنَاوَلَت دِلَالات مُوسِيقَى الأَلْفَاظِ في الأَحَادِيثِ القُدسِيّة، إذ إِنَّنِي لَمْ أَجِد أَيَّ دِراسة لَهَا علَاقَة مُبَاشِرة بِهَذا الموضوعِ، بيدَ أَنَّ هُنَاك بَعض الدِّراسات الَّتِي تَتَناولَ بعضًا مِن جزئيات هَذا المَوضوع، وَمِن هَذِهِ الدِّرَاسات:

1. الأحادِيث القُدسية دراسة في البنية اللغوية وَالنظم الأسلوبيّ، وَهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربيَّة، إعداد الطَّالب: علي عبد الله النعيم، الجامعة الأردنيَّة، كلّيَّة الدِّراسات العليا، 1994م.
2. الأحادِيث القُدسيَّة دِراسة أسلوبِيَّة، للباحِث: محمد متولي حسن محمد، وَهي أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في اللّغة العَربِيَّة، جامعة عين شمس، كليَّة الآداب قسم اللغة العَربِيَّة، 1995م.
3. الأحادِيث القُدسيَّة دراسة بلاغِيَّة، وهي مذكّرة مقدَّمة لِنيل دَرَجة المَاجِستير فِي اللغَّةِ العَرَبِيَّة، إعداد الطَّالبِة: مروة إبراهِيم شعبان قوتة، الجَامعة الإسلامِيَّة –غَزة–، كليَّة الآداب، قسم اللّغة العَربِيَّة، 2007م.
4. آليات الاتِّساق وَالانسجام فِي الحديث القُدسي دِراسة أسلوبِيَّة، وَهي أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في اللّغة العَربِيَّة، إعداد الطَّالب: كريم خلدون، جامعة الأخوة منتوري، كليَّة الآداب وَاللُّغة العَربِيَّة، 2015م.
5. التَّوازِي التَّركيبِيّ وَدلالَته فِي الأحادِيث القُدسيَّة (حَديث يَا عبادِي إنِّي حَرمت الظلم أنموذجًا)، لِلباحِث: نوار محمد إسماعِيل، جامعة الموصل، مجلَّة أبحاث كلّيَّة التَّربِية، مج16، ع3، 2020م.

أسئلة الدّراسة

تسعى الدّراسة للإجابَة عَن عَدد من التّساؤلات أبرزها:

- مَا مَدَى ارْتِباط إيقاع الحديث القدسي وموسيقاه مَع المَعْنَى العَام لِلحَدِيث؟
- مَا الدَّوْرُ الذي تَقومُ بِهِ الفَوَاصِلُ فِي الأَحَادِيثِ القُدسِيَّةِ، وَهَلْ يَقْتَصِرُ دَوْرُهَا عَلَى الجَانِبِ الصَّوْتِي، أَمْ أَنَّ لَهَا دَورًا دِلالِيًّا وَاضِحًا؟

[1] أَبو حَميدَة، مُحَمَّد صَلاح: **القَضايا البَلاغيَّة وَالأُسْلوبيَّة في مفْتَاح العُلوم لِلسَّكَاكِي**، أُطروحَةُ دكتوراه مَخْطوطَة بكُلّيَّة الآدَاب، القَاهِرة: جَامعَة عين شَمْس، 1991م، ص324.

- هَلْ يَتَحَتَّمُ عَلى الإيقَاعِ فِي الحَدِيثِ القُدسِيّ أَنْ يَكونَ خَاضِعًا لِمتطَلَبَاتِ المَعْنَى، أَمْ أَنَّهُ يَأْتِي لِمُجَرَّدِ المُوسِيقَى؟
- مَا الدِّلالاتُ الَّتِي تَحْمِلُهَا الأَصواتُ وَالمَقَاطِعُ الصَّوْتِيَّة الَّتِي تَنْتَهِي بِهَا الفَواصِلُ، وَمَا العلاقَةُ القَائِمَةُ بَيْنَ أَصْواتِ الفَوَاصِلِ، وَبَينَ المَعْنَى العَام لِلحَدِيثِ القُدسِيّ؟

أهداف الدراسة

تهدف الدرسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

- بَيان أَهميَّةِ الحَديث القُدسيّ الَّذِي يَسيرُ عَلى سُنن العَرَبيَّةِ وَأَساليبَها فِي التَّعبيرِ، فَتَمَيَّزَ أُسلوبهُ بِالإِيقَاعِ الصَّوْتِيّ المَعبّر وَالجَرس اللافِت المؤَثّر.
- الكَشف عَن أَهمِيةِ مُوسِيقَى الأَحَادِيث القُدسِيَّةِ الَّتِي تُعَدُّ أَرْوَع أَنواع المُوسِيقَى اللُّغَوِيَّةِ، وَأَفْضلهَا تَأْثِيرًا، وَأَكْثرهَا تَناغمًا، مِنْ حَيث تَجَانس الأَصوات وَتَقاربها، وَمِنْ حَيث اخْتِيار الأَصوات المُنَاسِبَة لِلحَدَثِ، فَهُنَاكَ علاقَةٌ قَوِيَّة بَينَ الإِيقَاعِ المُوسِيقِيّ، وَالمَعنَى الدِّلالِيّ لِلنُّصوصِ القُدسِيَّة، فَدِقَّةُ اخْتِيار الأَلْفَاظ المُشْتَمِلَة عَلى الإِيقَاعِ المُوسِيقِيّ فِي نصوصِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة، جَعَلَهَا تَتَسَجِمُ مَع المَعْنَى المَقْصود، وَالمُرادِ مِن الحَدِيثِ.
- التَّعريج علَى أَهميَّةِ الدَّور الفَنيّ لِموسيقَى الألفَاظِ، وَتَتجلَّى أهمّيتها فِي الكشفِ عَن آفاقِ المَعانِي المُخْتلِفَة، وَلا يُمكِن لأَيّ عَمَلٍ أدبِيّ أنْ يَتَجَاهَلَ حَرَكَتهُ المُتَواصِلة، وَالمُمتدَّة عَلى طولِ النَّص، فَهْيَ الَّتِي تَمنحهُ مَذاقًا خَاصًّا، وَتُعْطِيه أَثرًا قَوِيًّا فِي التَّأثيرِ.

سبب اختيار الموضوع

يَرجَع سَبب اخِتِيار البَاحث هَذا المَوْضوع لأَسباب عَدِيدَة مِنَها:

- الوقوفُ عَلَى أهمِيَةِ الأَحادِيثِ القُدسيَّة، وَالكَشفِ عَنِ خَصائِصَها اللُّغَوِيَّة اللافِتة، اَلتَّي تَتَّسمُ بِاتّساعِ عِبارَتِهَا، وَتَساوق أَلفَاظَها، وَمُطَابَقة مَدلولهَا مُقْتَضى الحَال.
- الرَّغبَة الشديدَةَ فِي دراسَةِ الأَحاديث القُدسيَّة، فَبعض الأَحَاديث الَّتِي قَرأتهَا أَوْ سمعتها تَسْتَوْلِي عَلَى حَوَاسّي، لِمَا تَحْوِيهِ مِنْ رَوْعَةٍ فِي لُغَتِهَا، وَلَعلَّ بَعْضنا يَردُّ هَذِهِ الرَّوْعَةَ فِي كَثيرٍ مِن الأَحْيانِ، إِلَى المُوسِيقَى اللُّغَوِيَّة الَّتِي نَلْمَسُهَا مِن النّصِ، وَلَعَلَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَسْتَمِعُ لِلأَحَادِيثِ القُدسِيَّة، يَلْمَسُ الإِيقَاعَ الصَّوْتِيَّ المُعَبّر، وَالجرْس اللافِتِ المُؤَثّر الَّذِي يَزيدُ مِن انْتِبَاهِ السَّامِعِ.
- لأنّ الحَديثَ القُدسِيّ فِي تَنَاسبِ مُفرَدَاتِه وَعبارَاتِهِ، وَروعَة أُسلوبِهِ، وَجَمَالِ صُوَرِهِ، وَعُذوبَةِ مُوسيقَاه، يَغَدو أَرقَى نَص وَأَخْلَدَهُ بَعَد القُرآنِ الكَرِيمِ، مِمَا دَفَعَني إِلى البَحثِ فِي رَوْعةِ إِيقَاعِ الحَدِيثِ القُدسِيّ وَموسيقَاه مِن حَيث تَجَانس الحُروفِ وَتَقاربها، وَمِن حيث اخِتيار الحُروف المُنَاسِبَة لِلحَدَثِ.
- الوقوف عَلى البنِية الصوتيَّة الإيقاعِيَّة للفواصل فِي الأَحادِيث القُدسِيَّة.
- كَسر الحَاجز وَجسر الهوَّة بَين الدِّراسات النَّظَرِيَّة وَالتَّطبيقيَّة فِي عِلمِ الأَصوات الحَدِيث.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

أهمية الدّراسة

تَبرُزُ أَهَميَّةُ هذِهِ الدّراسَةِ مِن خِلالِ طَرحِها لِقَضِيَّةِ دِلالات مُوسِيقَى الفواصل فِي الأَحادِيثِ القُدسِيَّةِ؛ إِذْ تَكْشِفُ هذِهِ الدّراسَةُ السِّتَارَ عَمَّا يَكْمُنُ فِي فواصل الأحاديث القدسيّة مِنْ دِلالاتٍ وَإِيحَاءَاتٍ، وَظِلالٍ لِلمَعَانِي عَنْ طَرِيقِ جِرْسِهَا النَّاتِجِ مِن ائْتِلافِ أَصْواتِهَا.

وَلْو تَدَبَّرَ الإِنْسانُ فِي الأَحادِيثِ القُدسِيَّة، وَأَمْعَنَ النَّظَرَ فِي الفَيْضِ المُوسِيقِيّ الغَامِرِ للإحساسِ، وَالمَعانِي المُحَمَّلَة بِالدِّلالاتِ، مَع جَمَالِ الإِيقَاعِ وَقُوَّةِ التَّأْثيرِ لَأَدْرَكَ أَهَمّيَّةَ الحَدِيثِ القُدسِيّ، فموسيقَى الفواصل فِي الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة، مِنْ أَجَلِّ أَنْواعِ المُوسِيقَى اللُّغَوِيَّة، وَأَكْثَرِها تَنَاغُمًا وَانْسِجَامًا.

منهج الدراسة

أمَّا عَن مَنهَجِ البَحثِ، فَالمَنهَجُ الذي سَيعتَمِدُ عَلِيهِ البَاحِثُ فِي هَذِهِ الدِّراسَة هُوَ مَنهَجٌ وَصفيٌّ تَحلِيليّ، مِنْ خِلالِ رَصْدِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة الَّتِي تَمَيَّزَت بِإِيقَاعِ فواصلها المعبرة، مِنْ جِهَتَين: وَصفِيّة، وَأُخرى تَحليليّة، تَقومُ بِتَحليلِ دِلالاتِ مُوسِيقَى الفواصل.

وتقسم الدراسة إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: الفاصلة وأهميتها في الحديث القدسيّ

المبحث الثاني: الفواصل باعتبار الحرف الأخير ودورها في توجيه المعنى في الأحاديث القدسيّة.

المبحث الثالث: الفواصل باعتبار الوزن والحرف الأخير ودورها في توجيه المعنى في الأحاديث القدسيّة.

المبحث الرابع: الفواصل باعتبار الوزن ودورها في توجيه المعنى في الأحاديث القدسيّة.

المبحث الأول: الفواصل وأهميتها في الحديث القدسيّ

تُعَدُّ الفَاصِلَةُ ظَاهرَةً صَوْتيَّةً أُسلوبيَّةً جَمَاليَّةً، لَهَا مَيّزَةٌ مُهِمَّةٌ، تَأَتي لنَشْرِ جَوٍّ من المُوسيقَى، مِنْ خِلَالِ إِيقَاعهَا المُوسيقيّ المُؤَثر فِي النَّفْس، وَلَكنَّ العُلَماءَ أَطْلَقوا مَفْهومَ الفَاصلَةِ عَلى القُرآنِ الكَرِيم، كَمَا اسْتَخْدَمَ العَرَبُ السَّجْعَ وَاسْتَخْدَمَهُ القُرآن الكَرِيم، واسْتَعْمَلَهُ الرَّسول عَلَيْهِ السَّلام؛ لأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ بلسانٍ عَرَبيّ مُبين. وَالسَّجْعُ "هُوَ لَوْنٌ من أَلْوانِ المُوسيقَى الدَّاخِلِيَّة، يَنْتُجُ عَنْ تكْرَارِهِ في العمَلِ الأَدَبيّ إيقاعٌ دَاخِلِيٌّ، يُكْسبُ النَّصَ جَمَالًا وَرِقّةً منْ خِلالِ موسيقاه، وَهُوَ يَعْتَمدُ عَلَى خَاصّيَّةِ الإيقاع الصَّوْتيّ المُرْتَبط بنهَايَة الجُمَل"[1]

وَتُعَدّ الفَاصلة ركنًا أَساسيًّا فِي تَكوين بِنيّة الحَديث القدسيّ الإيقاعِيّة، لِما تُحدِثه مِن جرس ينْهَضُ فِي إبرازِ المَعْنَى المُراد، وَقَدْ اعْتَنَى البَلاغيّونَ بهَذَا المَفْهومِ عنَايَةً كَبِيرَةً؛ "لأَنَّ بُروزَ صَوْت بِعَيْنِه فِي نِهَايَة كُلّ فَاصلَةٍ، أَوْ مَقْطَعٍ صَوْتيّ وَتكْرَاره فِي أَكْثَر مِنْ مَوْضِعٍ، يُحْدِثُ إيقَاعًا مُعَيَّنًا يَتَكَرَّرُ في ذهْنِ المُتَلَقي، فَإِذَا مَا صَادَفَ تَوَقُّعَ المُتَلَقي تَكْرار ذَلكَ الصَّوْت، أَحْدَثَ نَوْعًا من التَّجَاوبِ الصَّوْتِي بَيْنَ النَّغمَةِ المُتَوَقَّعَة، وَالنَّغمَةِ البَارزَة عَلَى سَطْحِ

[1] وقاد، مَسعود: **البنْيَة الإيقاعية في شعر فَدْوَى طوقَان**، رسالَة مَاجِسْتير، جَامِعَة وَرقلة، 2003م، ص315.

الصّياغَةِ، ممَّا يُوَلّدُ الشُّعورَ بِالمُتْعَةِ الإيقَاعيَّةِ"[1]. **وَهُنَا يَتبادَرُ في ذهْنِي السُّؤَال الآتي: هَلْ يُمْكنُ أنْ نُطْلِقَ مَفهومَ الفَاصلَةِ، أم السَّجْع عَلَى الأَحاديث القُدسيَّة؟**

أَقُولُ: إنَّ العُلَماءَ انْقَسَموا إلَى قسْمَينَ، منْهُم مَنْ نَفَى وُجُودَ السَّجعِ في القُرآنِ، كَالرّمانيّ (ت384هـ)، وَالباقِلاني (ت403هـ)، بسبب تَبَعيَّة الأَلْفَاظِ لِلمَعَاني دَائمًا، وَقيام السَّجع عَلَى التَّكَلّفِ؛ لذَا أَطْلَقوا عَلَى اتّفَاقِ أوَاخر الآيات في القُرآنِ فَوَاصل، وَلَمْ يُطْلقوا عَلَيْهَا أَسْجَاعًا، وَمنْهُم مَنْ أَثْبَتُوا وُجُودَ السَّجع في القُرآنِ، كَالجَاحظ (ت255هـ)، وَابن سنَانَ (ت466هـ) الَّذي رَدَّ عَلَى الرُّمَانيّ بِقَوْلِهِ "فَأَمَّا قَوْلُ الرُّمَانيّ: إنَّ السَّجع عَيبٌ، وَالفَوَاصل بَلاغَة عَلى الإِطْلاق فَغَلَط؛ لأَنَّهُ إنْ أَرَادَ بالسَّجع مَا يَكُونُ تَابعًا لِلمَعْنَى، وَكَأَنَّهُ غَير مَقْصودٍ، فَذَلكَ بَلاغَة، وَالفَوَاصلُ مثْلُهُ، وَإنْ كَانَ يُرِيدُ بالسَّجعِ مَا تَقَعُ المَعاني تَابعَةً لَهُ، وَهُوَ مَقْصودٌ مُتَكَلّفٌ، فَذَلكَ عَيبٌ وَالفَوَاصلُ مثْلُهُ".[2] وَقياسًا عَلى ذَلكَ يُمْكنُ لَنَا أنْ نَسْتَخْدِمَ مُصطَلَح السَّجع، أو الفَاصلة عَلى الأَحاديث القُدسيَّة، وَسوف أَلتزمُ بذْكر مُصْطَلَحِ الفَاصلَة في هَذه الدّراسَة؛ لِأَنَّ الأَحادِيثَ القُدسِيَّة هِي كَلامُ اللَّه، وَلَفظهَا مِنْ نَبِيّ فَصِيحٍ بَليغ.

إنَّ المُتَأَمل فِي الأَحَادِيثِ القُدسيَّةِ يَجِدُ قُوَةَ وَجَزَالَةَ أَلْفَاظِهِ، الَّتِي تَأْتِي مُتَمَكّنَةً فِي سِيَاقِهَا، وَتُؤَدّي وَظِيفَةً مَعْنَوِيَّةً، وَغَرَضًا مَوْضوعِيًّا فِي السّياقِ يُدْرِكُهَا النَّاظِرُ وَالمُتَدبّر، كَمَا تُؤَدّي وَظِيفَةً فَنّيَّةً تُضْفِي عَلَى النَّصِ جَمَالًا نَغَمِيًّا، وَمَع هَذَا يَقولُ تَمَّام حَسَّان: "تَأْتي الفَاصِلَةُ في نهَايَةِ الآيَةِ؛ لِتُحَقّقَ لِلنَّصِ جَانِبًا جَمَالِيًّا لَا يُخْطِئُهُ الذَّوْقُ السَّليم، لأَنَّنَا مَهْمَا يَكُنْ منْ شَيء، نَحُسُّ بِأَنَّهَا تُضْفِي عَلَى النَّصّ قِيمَةً صَوْتِيَّةً مُنْتَظَمَةً".[3] وَلِذَلِكَ لا تَحسنُ المُحَافَظَةُ على الفَواصلِ لِمجَرَّدِهَا إلّا مَع بَقاءِ المَعانِي عَلى سَدادِهَا عَلى النّهجِ الَّذي يَقتضيهِ حسن النَّظم وَالتِئامه، كَمَا لَا يَحسنُ تَخَيّر الأَلفاظ المونقَة فِي السَّمعِ السَّلسَة عَلى اللّسان إلّا مَع مَجيئهَا مُنقادَة لِلمَعانِي الصَّحيحة المُنتظَمَة؛ لِذا لَا يَصحُّ إهْمَال المَعنَى وَالاهتِمَام بِتَحسين اللَّفظِ وَحدَه[4].

وَقَدْ بَلَغت الفَاصِلَةُ حَدّاً رفيعًا مِن التَّمَيّز وَقوةِ الأَدَاء فِي أُسلوب الحَدِيث الشَّريف، لِمَا تَضمّنتهُ مِن خَصائص بَلاغِيّة تَتّصلُ بقوَّة تَمَكّن الأَلفاظ في مواضعهَا من جهةٍ، وَقوَّة اتّساقِها مع غَيرهَا صَوْتًا وَأَثرًا منْ جِهَةٍ ثانيَةٍ ، وَالقدرة عَلى حسن تَقسيمِ الجُمَل تَقسيمًا دَاخِليًّا تُمَثّلُ الفَاصِلَةُ المَسجوعَة مَع غَيرهَا فِي إِطَارِهِ نهايات داخِلِيَّة لِكل جُمْلَةٍ أوْ فَاصِلَة، مِمّا يُتِيح لِلذّهنِ التَّوقف لَدَيهَا، وَاستيعَابِهَا بِمَعزل عَن غَيرهَا، ثُمَّ تَتتالى عليه الفواصل المتماثلة فيشبع تطلعه لِلاستيعَابِ مِن جِهة بالوقوفِ عَلى هَذِهِ النِّهَايات، كَمَا يَشبع رغبَته فِي التَّطلع إِلَى الاتّساقِ الصَّوْتِيَّ المُوحّد، الّذِي يَتماشى مع الانفعَالِ النّفسيّ وَرغبة الذَّاكِرَة فِي إحصاء مَا تَتَلَقَّاه مِن جِهَةٍ أُخرَى[5].

وَفِي هذا البحث سَأَتَناولُ الفَاصِلَة فِي الأَحَادِيث القُدسيَّة بِهَدفِ الكَشفِ عن الدَّور الّذِي تُؤَدّيهِ هَذِهِ الفَاصِلَة فِي بِناء وَتماسك الحَديث القُدسِيّ، وَذلَكِ مِن خِلالِ دِراسَةِ الفاصِلة فِي سِياقِها وَدورها فِي إبرازِ المعنى.

---

[1] أبو حَميدَة، مُحَمَّد صَلاح: **القَضايا البَلاغيَّة وَالأُسْلوبيَّة في مفْتَاح العُلوم لِلسَّكَاكِي**، أُطروحَةُ دكتوراه مَخْطوطَة بكُلّيَّة الآدَاب، القَاهِرة: جَامعَة عين شَمْس، 1991م، ص324.

[2] ابن سنَان، عَبْد اللَّه ابن محمد: **سِر الفَصَاحَة**، بَيْروت: دَار الكُتُب العلْميَّة، 1988م، ص172-174.

[3] حَسَّان، تَمَّام: **البَيانُ فِي رَوَائِعِ القُرآنِ دِراسَة لُغَويَّة أُسْلوبية لِلنَّصِ القُرآنِيّ**، ط1، القاهِرةُ: عَالمُ الكُتُبِ، 1993م، ص279.

[4] يُنظَرُ: الزركشي، أَبو عبد الله بدر الدين (ت794هـ): **البرهان في علوم القُرآن**، تحقيق: محمد أَبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة، 1957م، 72/1.

[5] يُنظر: ليمونة، مدحت حسني: **البَلاغَة الصَّوتيَّة فِي الأَحادِيث النَّبويّة**، جَامِعة الأَزهر: كِليَّة اللُّغة العربيّة، (د.ت)، ص1850-1851.

المبحث الثاني: الفواصل باعتبار الحرف الأخير ودورها في توجيه المعنى في الأحاديث القدسيّة.

لَم تَلتزم فواصل الأَحادِيث القُدسيّة حَرف الرَوي دَائِمًا، كَمَا أَنَّها لَمْ تهمله، وَلَكن كَانت لَها صبغتهَا المُتميّزة فِي الالتِّزام وَالتَّحرر مِن الالتزام، فَهناكَ الفَواصِل المُتمَاثِلة وَالمتقاربَة، وَسوفَ أُعرّجُ على هَذين النوعَين لِمعرِفَةِ أَثرهما فِي بيانِ المَعَنى.

أَمَّا الفَاصِلة المُتمَاثلة[1] فَهي الَّتِي تَماثَلت فِي الصَّوتِ الأخيرِ كَقوله تَعالى: ﴿ ***وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ*** فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ المَعْمورِ﴾[2]. وَمِن نماذج الأَحادِيث القُدسيَّة عَلى الفَاصلة المُتمَاثِلَة: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلا بُدَّ لَهُ مِنْهُ"**[3].

فَالفَاصِلَةُ فِي هَذَا الحَدِيثِ جَاءتْ مُنْتَهِيَة بِحَرْفِ الهَاءِ "وَهوَ صَوْتٌ حنْجرِيٌّ رخْوٌ مَهْموسٌ، يَتِمُّ نُطْقُهُ عِنْدَ احْتِكَاكِ الهَوَاءِ الخَارِجِ مِن الرِّئَتَين، بِالتَّضييقِ الحَاصِلِ فِي الأَوْتَارِ الصَّوْتِيَّةِ، فَيُحدُثُ حَفِيفًا يُسْمَعُ فِي أَقْصَى الحَلقِ"[4].

وَلعلَّ المُتَأَمل فِي هَذَا الحَدِيثِ، يَجِدُ أَنَّ هَذهِ الفاصِلَة قَدْ تَرَكَتْ أَثَرًا جَلِيلًا فِي سَلامَةِ الأَلْفَاظِ، وَقُوَّةِ التَّرْكِيبِ، وَلَمْ تَأتِ هَذهِ الفَاصِلَة لِغَرضٍ لَفْظِيّ فَحسب، وَإِنّما جاءت لإتمَامِ الغَرض المَعنَوِيّ، فتَكْرار الهَاء فِي قَوْلِهِ **(سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ)** بَينَ مَضْمومَةٍ فِي الأُولَى، وَمَكْسورة فِي الثّانِيةِ، يعْني ارتفاعًا فِي الأُولى يقْتَضيهِ المَقامُ العَليّ، وانْخفَاضًا في الثَّانِيَةِ (بِهِ) وَكَأَنَّهُ البُلوغ وَالوُصول، فَجَاءَ التَّكْرِيمُ مِن الأَعْلَى إِلَى الأَدْنَى، فَفِيهِ رَاحَةٌ نَفْسِيَّةٌ لِلمُقْتَرِبِ، وَشُعور بِالقُبولِ وَالعَوْنِ، فَتَهْدَأُ النَّفْسُ وَتَسْكُنُ.

كَما أَنَّ الهاءَ فِي قَوْلِهِ **(وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)** وقَعَتْ مَفْعولًا بِهِ فِي سِياقِ القَسَمِ، مُقْتَرِنَةً بِنونِ التَّوْكِيدِ الثّقِيلَةِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا القَسَم، وهيَ صَوْتٌ مُثْقَلٌ، يَقْتضِي لَفْظهُ وَقْفَةً صَوْتِيَّة تخْرُجُ مِن الأَنْفِ فِيمَا يُسَمَّى بِالغُنَّة، وَمَجِيء الهَاء الَّتِي تَخْرُجُ مِن الحنْجرَةِ يُعْطِي لِلنَّفْسِ السَّامِعَةِ، وَللمَقْصودِ بِالضَّمِيرِ، رَاحَةً نَفْسِيَّةً وَانْفِراجًا وَثِقَةً بِالجَزَاءِ المَوْعودِ.

وَمِن الفوَاصل المتماثلة مَا نَجِدُهُ فِي هَذَا الحَدِيثِ القُدسِيّ: "**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَال: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ ابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ كَانَ ثَانِيًا لَابْتَغَى إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**"[5] وَمَنْ يَتَأَملُ فَوَاصِلَ هَذَا الحَدِيث يَجِدُ أَنَّ الفَاصِلَةَ تَتَغَيَّرُ، فَفِي البِدَايَةِ كَانَت الفَاصِلَةُ مُنْتَهِيةً بِحرفِ المَدِّ (الأَلِف) فِي (ثَانِيًا/ وَثَالِثًا)، ثُمَّ تَغَيَّرَت الفَاصِلَةُ إِلَى حَرفِ البَاءِ فِي (التُّراب/ تَاب) وَهَذَا يَقودُنِي إِلَى التَّساؤُلِ الآتِي، هَلْ يَتَغَيَّرُ سِياقُ الحَدِيثِ مَع تَغَيّر الفَاصِلَة؟

---

[1] ينظَر: الخفاجِيّ، ابن سنان: **سرّ الفَصاحَة**، تحقيق: عبد المتعال الصعيدِيّ، (بدون طبعة)، مصر: مكتبة محمد صبيح، 1953م، ص203.

[2] سورة الطور، آية (4-1).

[3] ابن العدوى، مصطفى: الصحيح المسند من الأَحادِيث القُدسية، ط1، طنطا: دار الصحابة لِلتّراث، 1989م، ص79-81. وينظر: الحَنْبَلِي، أَبِي عَبْد الله مُحَمَّد بِن عَبْد الوَاحِدِ (643هـ): **صِحَاحُ الأَحادِيث فِيما اتَّفَقَ عَليه أَهْلُ الحَديث**، تَحقِيق: أَحْمَد حَمْزَة الزّين، بَيروت: دَار الكُتبِ العِلْمِيَّة، 1990م، 180/2.

[4] مَهْدِي، مَنَاف: **عِلْمُ الأَصْوَات اللُّغُوِيَّة**، ط1، مَنشورات السَّابع مِن أبريل، 1993م، ص87.

[5] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص175.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

يَبدو أنَّ الفَاصِلَةَ الأوَلى الَّتِي انْتَهَتْ بِحَرْفِ الأَلِفِ جَاءَتْ مُنْسَجِمَةً مَعِ السِّيَاقِ، فَحْرفُ الأَلفِ فِيهِ نَوع مِن الإبَاحَةِ وَالاتِّسَاع، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيهِ سِيبَوَيهِ (ت180هـ) بِالحَرفِ الهَاوِي[1]، فَالإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ مَيَّالٌ إِلَى حُبِّ المَالِ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِي إِليهِ، فَلَوْ كَانَ لِلإِنْسانِ وَادٍ مِن المَالِ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيانَ، كَمَا نَلْحَظُ دِقةَ اسْتِخْدَامِ لَفْظ **(وادٍ)**، وَذكر ابن مَنظور (ت711هـ) أَنَّ "الوَادِي كُلُّ مَفْرَجٍ بَيْنَ الجِبَالِ وَالتِّلالِ، وَقَدْ يَكونُ عَمِيقًا وَوَاسِعًا"[2] فَهَذا اللَّفْظُ جَاءَ مُنْسَجِمًا مَع السِّياقِ، وَمَع الفَاصِلَة (الألف)، الَّتِي أَفَادَتْ مَعْنَى الاتِّسَاع، كَمَا أَنَّ لَفْظَ **(وادٍ)** اشْتَمَلَ عَلى حَرْفِ المَدّ الألِف، الَّذِي أَضفَى إِيقَاعًا مُوسِيقِيًّا، أَكْسَبَهُ قِيمَةً دِلالِيَّةً دَالَّةً عَلَى مَعنَى الاتِّسَاعِ، ومُنْسَجِمَةً مَع المَعْنَى العَام.

وَلكن لِمَاذا تَحَوَّلَت الفَاصِلَةُ إِلَى حَرفِ الباء المَسبوقَة بِأَلِف فِي (التُّراب/ تَاب)؟

يمكن القول: إِنَّ حَرْفَ الباءِ "المَجْهور الانْفِجَارِيّ"[3]، يَدُلُّ عَلَى الوُضوحِ بِسبَبِ جَهْرِهِ وَخُروجِهِ مِن الشفَتيْنِ، وَيَقُولُ الأَرْسوزِيُّ عَنْهُ: "إِنَّهُ يَغْلُبُ عَلَيْهِ مَعْنَى الظُّهورِ، وَهُوَ المَعْنَى الأَكْثَر تَوَافُقًا مَعَ مَصْدَرِ خُروجِهِ مِن الفَمِ مِنْهَا بَدَأَ وَبَاحَ"[4]؛ لِذَا يُوحِي هَذَا الحَرْفُ بِوضوحِ الفَارِقِ بَيْنَ الدلالَتَين، فَقَدْ تَغَيَّرَت الدِّلالَةُ مِن الاتِّسَاعِ فِي المَالِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ، إِلى دِلالَةِ التَّخْصِيصِ، فَالإِنْسَانُ لَا يُشْبعهُ إِلّا التُّراب.

وَقَدْ جَاءَت المَقَاطِعُ الصَّوْتِيَّةُ فِي **(التُّراب/ وَتاب)** مِن النَّوْعِ الطَّوِيل المُغْلَق بِصَامِت (ص ح ح ص)، الَّذِي يَرِدُ دَائِمًا فِي أَواخِرِ الكَلِمَاتِ، أَوْ عِنْدَ الوَقْف عَلَيْهَا، "وَيُعَدُّ هَذَا النَّوْعُ منْ المَقَاطع منْ أَكْثَرِ المَقَاطع الصَّوْتيَّةِ وُضوحًا في السَّمْعِ؛ فَالطَّاقَةُ الَّتِي يَحْملُهَا هَذَا المَقْطَع عَاليةٌ، وَكُلَّما زَادَتْ الطَّاقَةُ في المَقْطَع، زَادَتْ دَرَجة وُضوحهِ السَّمْعيّ"[5]، وَهَذَا المَقْطَعُ المُغْلَقُ جَاءَ لِلدَّلالَةِ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ هِي الطَّرِيقُ الوَحِيد، لِكَي يَتَخَلَّصَ الإِنْسانُ مِن طَمَعِهِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي.

ومن الفواصل المتماثلة ما نجده في هذا الحديث القدسيّ "**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَع**"[6] لاحِظُ أَنَّ تماثل الفَواصل فِي هذا الحديث كَان لهُ أثرٌ فَاعِلٌ في السياق التَّعبيرِيّ لِهذا الحَديث، فَقد انتهت الفواصل (بذراع، بباع، بأسرع) بِصوت العين "الحلقيّ المَجهور الاحتكاكِي"[7]، أَضَافَ وَقعًا عنيفًا في الأذن يَهزُّ السَّامِع مِن الأَعماق، ومعنى الحَديث "من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدت، وإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت

---

[1] يُنْظَرُ: سِيبَوَيهِ، أَبُو بشر عَمرو بِن عُثْمَان (ت180هـ-185هـ): **الكِتَاب**، تَحْقِيق: عَبْد السَّلام مُحَمد هَارون، ط3، القَاهِرَة: مَكْتَبَة الخَانجي، 1988م، 435/4.

[2] ابن منظور، جَمال الدّين محمد بن مكرم (ت711هـ): **لِسانُ العَرَبِ**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2009م، 484/15.

[3] حَسَّان، تَمَّام: **مَنَاهِجُ البَحْثِ فِي اللُّغَةِ**، ط2، الدَّارُ البَيْضَاء: دَارُ الثَّقَافَة، 1974م، ص119.

[4] الأَرْسوزِي، زَكي: **العَبْقَرِيَّةُ العَرَبِيَّةُ في لسانهَا**، (بدون طبعة)، دِمشق: مَطبعة الحياة، (د.ت)، ص49.

[5] قبها، مُحمد عِناد: **التَّحليلُ الصَّوْتِيّ لِلنَّص**، ط1، عَمَّان: دَارُ أُسامَة، 2013م، ص52.

[6] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص58. وَينظر: عميرات، زكريا: **الأحاديث القُدسيَّة الصحيحة**، ط1، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1971م، ص132.

[7] أَنيس، إِبْراهِيم: **الأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ**، ص88.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

عليه الرحمة وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه"[1]. وربَّ سائِلٍ يَسألُ مَا علاقَة الفَاصِلَة بِسياق هَذا الحَدِيث؟

باعِتِقادِي أَنّ الفَاصِلة المُنْتَهية بِصوت (العين) جَاءت مُنسجمة مع معنى الحديث، فَصفة الجَهر فِيه تُعْطِي المَعنى قوّةً وَجَزَالَةً وَتؤَكِّدُ على كرمِ الله سبحَانه وَتعالى وعظيم عطائه الّذي يَغمرُ العِبادَ وَيسعهم بِرحمَتِه، كَذلكَ صفة الاحتكاك في هذا الحرف تجعل المعنى ملاصقًا لِلَّفظِ غَير منفصلٍ عنه خِدمة له وتعزيزًا لمقصدِهِ، كَما أنَّ مخرج الحرف من الحلقِ يجعلهُ صوتًا أساسِيًّا تتبني عليه كثير من المَعانِي، وَيُعطي مزيدًا مِن الدِلالات، وَكأنّه صوت الحَق وَأساسه وَميزانه وَكذلك هِي رحمة الله أَساس فوز الإنسان وَسعادته.

كَما أنَّ صوت الألف الّذي سبَق صوت العين جَاء مُنسجَمًا مَع مَعنى الحَدِيث، فهَذَا الصوت فِيهِ نَوع مِن الإبَاحَة وَالاتّسَاع، وَقَدْ أَطْلَقَ سِيبَوَيه (ت180هـ)، وَابن جِنّي (ت392هـ) عَلَى صَوْتِ الأَلِف "بِالهَاوِي؛ لِأَنَّهُ حَرْفٌ اتَّسَعَ لِهَوَاءِ الصَّوْتِ مَخْرَجهُ أَشَدّ مِن اتِّسَاعِ الوَاو وَالياء"[2]، ومَا دَامت الأَلِفُ هِي الهَاوِي، وَهيَ اتِّسَاعٌ فِي الصَّوْتِ، تَطْمَئِن لَهُ النَّفْسُ، وَكَأَنَّهُ نَفَسٌ عَميقٌ بَعْدَ جُهْدٍ فَإِنَّهُ يُلائِمُ الجَزَاءَ الرَّبَانِيّ عَلَى الجُهْدِ المَبْذولِ، فَهُنَا اتِّساعَان اتِّسَاعٌ فِي الصَّوْتِ يُنَاسِبُ الاتِّسَاعَ فِي الجَزَاءِ، وَاتِّسَاعٌ فِي العَمَلِ، لِذَا أَضْفَى صَوتُ الأَلِفِ، جَمَالًا مُوسيقِيًّا، يرْهفُ السَّمْعَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الصَّوْتَ مِنْ أَكْثَرِ الأَصْوَاتِ مُوسيقِيَّة، وَأَوْضَحهَا فِي السَّمْعِ.

كَما أنَّ صِيغَةَ (فُعال) فِي (ذراع) أَفَادَت مَعْنَى الاتِّسَاع وجَاءَت مُنْسَجِمَةً مَع مَعْنى الحديث، حَيْثُ إِنَّهَا أَفَادت مَعْنى الاتِّسَاع فِي الجَزاء، فالذراع يَدلُّ عَلى مِقدَار مُعين؛ لِذا فَإِنَّ هَذا الاتّساعَ أَقل مِن الاتِّساع الذي فِي اسم التَّفضيل (أَسرع)، فهناك تَدرجُ فِي الجُهد فكلّما كَان الجُهد أكثر كَان الاتِّساع فِي العَمِلِ أكثر، وَأن قِمَة الذروة في الاتّساع انتهَت بصيغة التفضيل (أسرع).

وَيُمكن القول بأنّ الفواصل المُتَماثِلَة كَانت من أبرزِ أنواعِ الفَواصل حضورًا فِي الأحاديث القدسِيّة، وَجاءت عَذبة الإيقاع دالّة عَلى المعنى وَالمقصود، وَقد تَنوعت أواخر الفواصل المُتماثلة في الحديث القدسيّ الواحِد، مِمّا أحدث تنوعًا إِيقاعِيًّا وَدلاليًّا يتناسب مع سياق الحديث.

أمّا الفواصِل المُتقاربة فَهي الّتي تقومُ عَلى تَقارب حروف رَويّها، وَتُسمى أيضًا ذات المناسبة غير التَامّة[3]، وَيقولُ الرّمانِيّ في هَذا الشأن: "وَإنّما حَسن في الفواصل الحروف المتقاربَة؛ لأنّه يَكتنف الكلام من البيان مَا يدلّ عَلى المراد في تمييز الفواصل وَالمقاطع، لِما فيه من البلاغة وحسن العبارة"[4]، وَالملاحظ أنَّ هَذا النوع من الفواصل الأقل حُضورًا في الأحادِيثِ القُدسيّة، وَمن الأمثلة عَلى ذلِك قول الرسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم:

---

[1] العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت806هـ): **طرح التثريب في شرح التقريب**، ط1، القاهرة: دار الفكر العربيّ، (د.ت)، 235/8.

[2] سِيبَوَيهِ، أَبُو بشر عَمرو بِنْ عُثْمَان (ت180هـ-185هـ): **الكِتَاب**، 435/4. وَيُنْظَرُ: ابن جِنّي، عُثْمَان أَبو الفَتْح (ت392هـ): **سِر صِنَاعَةِ الإعراب**، ط1، بَيروت: دَار الكُتب العِلْمِيَة، 2000م، 8/1.

[3] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرّمانِيّ وَالخطّابِي وَعبد القاهر الجرجَانِيّ في الدّراسات القرآنِيّة وَالنّقد الأدبِيّ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ط1، مصر: دار المعارف، (د.ت)، ص90.

[4] المرجع السّابق، ص98.

"يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ، وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهو أَعْلَمُ بِهِمْ: كيفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فيَقولونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"[(1)]

انتهت الفاصلة في هذا الحديث بصوتين متقاربين وَهما (اللام والراء) فِي الكلمات (الليل، النهار، الفجر، العصر) وَقد أضفى هذا التقارب في الفاصلتين عَلى هذا الحَديث نغَمًا موسيقيًّا تَرتَاحُ لَهُ الأذن، وَقيمَةً دِلاليّة تَخدم المَعنى المَقصود مِن هَذا الحَدِيث، وَقد ذكر العلماء أنّ صوتي اللام وَالراء من بين الأصوات العربيّة الّتي عَرَفت تواشجًا وَتداخلًا فسيولوجيًّا كَبيرًا، وَهذهِ الظَاهِرَة يُطْلَقُ عَليها في الدرس اللّغوِيّ الحَديث تسمية التبادل أوْ التّناوب النطقِي، نتيجة تقارب المخارج الصوتِيّة، فاللام والراء صوتان صامتان لثويان، فضلًا عَن اشتراكهما في المخرج الصّوتِيّ، فَهما يشترِكَان فِي عِدّة صفات صوتِيّة أخرى، فكلاهما صوت مجهور مذلق، إلّا أنَّ صوت الرّاء مكرر، وَاللام صوت مُنحرف[(2)]، وَباعتِقادي هَذا التّقاربُ في الفَاصِلتَين انسجم مَع دِلالَة الحَديث، فالفَاصلِة الأولى اللام في (الليل) انسجمت مع الدِلالة فَالمَلائِكَة لا يَنزِلون في وَقتٍ وَاحدٍ وإنَّما يَنزلون فِي الليلِ وَالنَّهار وَكَأنّ نزولهم فِيه تَعاقب وانحِراف عَن وَقتٍ وَاحِدٍ فَقط فَهم يَتعاقبون فِي الفَجِر وفي العصرِ وَيرتفعون إلى الله، كَما أنَّ هُناكَ انحرافًا لبعض المؤمنين عن المألوف وَهو النوم، فأغلب الناس فِي وَقت الليل يكونونَ نِيامًا، وَلكنَّ بَعضًا مِن المؤمنين يَقومون الليلَ بِالصّلاة وَالتّسبيح وَالاستغفار وَهذا ينسجمُ مَع سمَة اللام المميّزة وَهي الانحراف. وَلَعلَّ المتأمَل فِي هَذا الحَديث يَلمح جمال هذا التقارب فِي الفاصِلَتين، ففي الفاصلة الرائِيّة ذات الصفات المتمثلة في التّكرار فِي الكَلمات (النهار وَالفجر وَالعصر) تلصقُ تمامًا مَع مشهد حَرَكة الملائِكَة الّذين ينزلون فِي الليل والنّهار وَوَقت صلاة العصرِ وَالفجِر، وَهذا التّقارب فِي الفاصِلَتَين لَيسَ لمجردِ التّزين وَالتنميق، وَلكن لَهُ دلالة تَزيد المَعنى غِنًى، وَتكسب الموسيقى جَمالًا تطرب لَهُ الآذان.

ومن الفواصل المتقاربة في الأحاديث القُدسيّة: "**أمَّا قَطْعُ السَّبيل، فلا يأتي عليكَ إلَّا قليل، حتَّى تخرُجَ العِيرُ مِن الحِيرةِ إلى مكَّةَ بغيرِ خَفير، وأمَّا العَيْلةُ فإنَّ السَّاعةَ لا تقومُ حتَّى يخرُجَ الرَّجُلُ بصدقةِ مالِه فلا يجِدُ مَن يقبَلُها منه ثمَّ لَيقِفَنَّ أحَدُكم بَيْنَ يدَيِ اللهِ ليس بَيْنَه وبَيْنَه حِجابٌ يحجُبُه ولا تَرْجمانٌ يُترجِمُ له فيقولَنَّ له: ألَمْ أُوتِكَ مالًا؟ فلَيقولَنَّ: بلى فيقولُ: ألَمْ أُرسِلْ إليكَ رسولًا؟ فلَيقولَنَّ: بلى ثمَّ ينظُرُ عن يمينِه فلا يرى إلَّا النَّارَ ثمَّ ينظُرُ عن شِمالِه فلا يرى إلَّا النَّارَ فلْيتَّقِ أحَدُكم النَّارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ فإنْ لَمْ يجِدْ فبكلمةٍ طيِّبةٍ**"[(3)].

هناك تَقارب واضح بين صوتي اللام والراء في فواصل هذا الحديث في الكلمات (السبيل، قليل، العير، خفير)، فَالفاصِلة الأولى انتهت بِصوت اللام وَهو صوتٌ يتسّمُ بِسمة الانِحراف وَهذهِ الفَاصِلة انسجمت مَع دَلالَةِ الحَديث، فالانحراف في صوت اللام جَاءَ منسجمًا مَع الانحراف المُتمثل في قطع الطَريق لأخذ المَال أو المَتاع، فَجاء هَذا الرجل إلى الرّسولِ –صلى الله عليه وَسلم– شَاكِيًا بَعدَ أن وَجدَ الطَريقَ مُتَعثرةً مَسدودَةً فِي وَجهه بِسبب كَثرة قُطَاع الطرق، بَاحِثًا عن الأمن، وَكأنَّ الرّسول بَشَّرهُ بأنَّ الانحِراف في السلوك الخاطئ المتمثل في قطع الطريق

---

(1) العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص181–182.

(2) ينظر: بولخطوط، محمد: **الصفات الصوتيّة الخَاصة بصوتي الراء وَاللام في اللغة العربيّة**، مجلة جيل الدراسات الأدبيّة وَالفكريّة، عدد (48)، ص71.

(3) العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص174.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

ألّا يَدوم إلا وَقتًا قليلا وَيَتغيَّر الحال، وَلعَلّ السّؤالَ الّذِي يُثار الآن، مَا دلالة تَغيّر الفاصلةِ مِن صوتِ اللامِ إلى الصوت المُتقاربِ الراء فِي هَذا الحَديث؟

يُمكن القَول بأنَّ ثمَةَ جَمالًا دَلاليًّا يُضفيهِ هَذا الانتقال من فَاصلةِ اللامِ إلى الصوت المتقارب مَعها الراء ذات الصفات القوية المكررة المجهورة في صفاتِها، الَّتي أكسبت النَّص قِيمَةً دِلاليَّة انسجمت مَع مَعنى الحَديث، فَتكرار الرَّاء ينسجم مع المشهد المتحرك المُتغير مِن الخَوف المتمَثل فِي قَطعِ الطريق إلى الأمن وَهو خروج القافلة من الحيرة إلى مَكّة لا تخاف أحدًا إلا الله، وَهذا كناية عن شدّة الأمن في الطَريق بَعد قَطع السبيل، "كَما أنَّ سرعة حركَة اللسان طَارقًا اللثة فِي الرّاء"[1] يَحملُ دَلالة السّرعَةِ فِي التّحولِ من الخوفِ من قَطعِ الطَريقِ إلى الأمن وَالاستقرار.

وَبمكن القول بأنّ الفَواصِل المتقارِبة فِي الأحادِيث القدسيَّة عَلى الرَّغمِ من قِلَّةِ حضورها إلّا أنَّها أحدَثت إيقاعًا جَميلًا مؤثِرًا انسجمَ مع السِّياقِ، كما أنَّ التّنوع في استخدام الفواصل المتقاربة في الأحاديث القدسيَّة أحدث تنوعًا إيقاعِيًّا تَناسبَ مَع سياقِ الحَدِيث.

المبحث الثالث: الفواصل باعتبار الوزن والحرف الأخير ودورها في توجيه المعنى في الأحاديث القدسيّة

تُعدُّ الفَاصِلَة المتوازية من أبرز أنواع الفَواصِل حضورًا فِي الأحاديث القدسيّة، والمتوازي من الفَواصِلِ "هو رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والرّوي"[2]، مثل قوله تعالى: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ**﴾[3] والتوازِي في الحديث يعطي جمالًا للإيقاع، وَلهُ أثرٌ كَبير فِي توجِيه المَعنى، فَالجَمَالُ الصَّوْتِيُّ لِلفَوَاصِلِ لَا يَتَحَقَّقُ إلا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا تَنَاسب، وَالتَّناسُبُ بَيْنَ الفَوَاصِلِ هُوَ تَوَافُقُهَا فِي الوَزْنِ أَو الحَرْفِ الأَخِيرِ، أَوْ فِيهِمَا مَعًا، وَيُعدّ التّوازِي أداةً فَنيّةً وَجمالِيّة تَخدم نَصّ الحَديث القدسيّ وَتؤَثّر عَلى المتكلم وَتجذب انتباهَه.

كَما أنَّ وَظيفَةَ التّوازِي لا تقتَصرُ عَلى النّاحِية الجَمالِيّة، أو الإيقاع الموسيقيّ، وَإنّما تَتعدى ذَلِكَ إلى المَعنى، كَما يمنح التّوازي النّصَّ بُعدًا إيحائِيًّا يسعى إلى تَعميق الفِكرة[4].

وَيُمكن القَول إنَّ التّوازِي لَيس ظَاهِرة جَمالِيّة لَها تَأثير إيقاعِي تَلفت انتباه المُتَلقي فَحسب، وَإنّما تَحملُ أبعادًا دِلالِيّة، الأمر الّذي يُكسب المَعنى حسنًا وَرونقًا. وتوازي الفواصل في الأحاديث القُدسيّة سمة وَاضحة مَبنية عَلى التوافق الصّوتي وَالصّرفِيّ، ولَها أثر كَبير فِي جَمالِيّة الحَديث وَإثراء دَلالَته، الأمر الذي يَمنح الحديث القُدسيّ إيقاعًا صوتِيًّا رَتيبًا، وَيضفي عَلى جرس ألفاظِها طَابعًا جَمالِيًّا وَملمَحًا موسيقيًّا، فَيجعل المُتلَقّي مَشدودًا إلَى النّص، لا يغفل عَنه لَحظة.

ومن نماذج الأحاديث القدسيّة على الفاصلة المتوازية قَول الرّسول: "**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ بِالْمَوْسِمِ، فَرَأَيْتُ أُمَّتِي، فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهُمْ وَهَيْئَتُهُمْ قَدْ مَلَؤُوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، قَالَ: وَمَعَ**

---

[1] بشر، كَمال: **عِلم الأصوات، ص129**.

[2] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين (ت794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957م، 75/1.

[3] سورة الغاشية، آية 13-14.

[4] ينظرُ: زميت، هشام: **جماليّات التّوازي الصّرفي في شعر ابن الرّوميّ** (دراسة وصفيّة تحليليّة)، مجلّة علوم اللّغة العَربيّة وَأدابها، مج(13)، ع(01)، 2021/3/15، ص1695.

هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، الّذين لا يَسترَقونَ وَلا يَكتوون، وَلا يَتَطيّرون، وَعلى رَبّهم يَتوَكَّلون"[1].

يَظهر التّوازي الصّوتي الصرّفي فِي هَذا الحدِيث جَلِيًّا فِي الكلِمَاتِ التَّالِيَّة (يَتَطيّرون، يَتوَكَّلون) وَوَزنهما (يتفعّلون)، وَهذا التّوازِي يُشكّل بؤرةً إيقاعِيَّة لافِتَة تَزِيدُ مِن دَرَجة الإيقاعِ، وَتتَناسَب مَعِ المَعنى المَقصود، فاتّفاق الفاصلتين في الوزن وَالرويّ يَمنح هَذا الحَدِيث ثَراءً نَغميًّا، وَهَذا بِدَورِهِ "يُؤَدّي إِلَى تَكثيف الإيقاع اللّفظِيّ، فَيكون لَه انعكاس عَلى المستوى الدِّلالِيّ، وَالأهم في هَذا النّص هوَ مُصطَلح التَّوازِي الّذي يجمع بَين المطرف وَالمتوازن، نَظرًا لامتلاكهما الوظيفة الجَماليّة نفسها النّاجمة عن وجود مَبدَأين متلازمين هما: مبدأ الازدواج الصّوتِيّ أي: اتِّفاق الفَواصِل فِي الحَرف الأخير، وَمبدأ التّجانس الخَطيّ أي: اتّفاق الفواصل في الوزن"[2].

لِذا فَإنَّ التّوازي الصّرفِيّ فِي صِيغَةِ (يَتَفعّلون) أعطى النّصَ قوةً تتناسب مَع المَعنى المَقصود، فَهَذهِ الصيغة تفيد التّكلف[3]، وَهذا يَنسجم مع المَعنى المَقصود، فهؤلاء المؤمنون الذين يدخلون الجنة من غير حِساب من صفاتِهم أنّهم لايتطيّرون أيّ لا يَتشاءَمونَ بالطُّيورِ ونحوِها، فَهم لا يجهدون أنفسهم، وَلا يتكلّفون فِي هَذهِ الأشياء السّلبيّة، وَلكّنهم يتكلفون في التّوكل على اللهِ، فيُفَوّضون أمورَهم إلى الله تَعالى، وَيجهدون أنفسهم عَلى العَمل الصالحِ، فَهَذا التّوازِي الصّرفِي يَمنح الحَديث قِيمةً دِلالَيّة مِن خِلال هَذهِ المُفارقَة العجيبة القائِمة بين التّوكّل وَالتّطير، "وَبذلكَ من وَصفِهِ ظَاهِرةً صَوتيّةً أو شكليّةً أوْ جَماليَّة؛ ليكسب قوامًا بِنائِيًّا وَأسلوبِيًّا يَرفد النّصّ بِالكلامِ وَالتّلاحم وَالتّرابط"[4].

وَلَعلّ المتأمل فِي الهَندَسة الصّوتية لهذا الحَديث، يلمح العلاقة الجليّة بين الفاصِلةِ وَبين المعنى المقصود، فالفاصلة في الكِلمات (يَسترَقونَ، يَكتوون، يَتَطيّرون، يَتوَكَّلون) التزمت في رويّها صوت النون المسبوق بِحرف المد (الواو)، فصوت النون بغنته يحدث ارتياحًا في السّمع، فالعبد يرتاح عندما يعلم الأجر العظيم الممنوح لهؤلاء الناس، الذين يدخلون الجنة بغير حِساب؛ فهم لا يطلبون الرقية من أحد، وَلا يتشاءمون بالطيور، ولا يكتوون بالنّار طلبًا لِلشّفاء؛ لأنّهم يتوكّلون عَلى الله، كَما أنَّ الواو المديّة الطويلة أضفت نغمًا موسيقيًّا واضحًا ترتاح له النّفس، وَدلّت علَى عِظم العَطاء الممنوح لهؤلاء الأصناف بأنَّهم يدخلون الجنة بغير حساب، وَهذه الواو تفضي إلى نون ساكنة مستقرّة توحي بالرّضا وَالطمأنينة، وَاستقرار النّفس بِهذا العَطاء العظيم وَالنّعمة الكريمة، فيضفي هذا التّوافق في الحرف وَالوزن معنى جديدًا، يزيد المعنى الأصلي قوّة وَيعطيه مكانة تؤكد المعنى في النّفس وَتعززه.

ومن الأمثلة عَلى الفاصلة المتوازية قول الرّسول –صلى الله عليه وسلم–: "**إنَّ اللهَ تبارَكَ وتعالى يقولُ: يا أهلَ الجنَّةِ فيقولونَ: لبَّيْكَ ربَّنا وسعدَيْكَ، والخيرُ في يدَيْكَ، فيقولُ: هل رضِيتُم؟ فيقولونَ: ما لنا لا نرضى وقد أعطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحدًا مِن خَلْقِكَ فيقولُ: ألا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلكَ فيقولونَ: يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضَلُ مِن ذلكَ؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ بعدَه أبدًا**"[5].

---

[1] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص154.

[2] كنوني، محمد: **التّوازي ولغة الشعر**، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، عدد (18)، 1999م، ص81/80.

[3] يُنْظَرُ: الجِمْلاوِي، أَحْمَد بن محمد: **شَذَا العُرف فِي فَن الصَّرف**، بَيروت: دَار الكُتب العِلْمِيَّة، ص43.

[4] صالح، بشرى: **فَاعليّة التّوازي في النقد الحديث**، جَريدة الثورة، 2002/10/24.

[5] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص92.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

وَلَعلّ المتأمّل فِي هَذا الحَديث يَلمح التّوازِي فِي الكَلِمات (لبيك، سعديك، يديك)، وَهي تَكسو التَّركيب هَندسةً لَفظِيَّةً عَجيبة، وَتناظرًا صَرفِيًّا صوتِيًّا وَاضحًا، يوحِي بِالمَعنى المَقصود، إضافَةً إلى دَورها في التّأثيرِ عَلَى المُتلقي وَجذب انتباهِهِ، حَيث ذكَر العلماء أنَّ وَظِيفَةَ التَّوازِي لا تقتَصرُ عَلى النّاحِية الجَماليّة البتّة، "فَالتَّوازِي يَمنحُ النّص بعدًا إيحائِيًّا يَسعى إلى تَعميق الفكرة، كَما يَقومُ التَّوازِي أيضًا عَلى تَكرار الفِكرة الّتِي توفّرُ انتشارًا إيقاعِيًّا أوْ تشكّل أسلوبًا غِنائِيًّا"[1]، فَبالنّظرِ إلى الكَلِمة الّتِي وقعت فِيها الفَاصِلة (سَعدَيك) نجد أنّها تَتفِق في الوزن وحرف الرّوي مع الفاصلة اللاحِقة لَها (يَديك)، فَالكلمتان عَلى وَزن (فَعليك)، وَهَذا التّوازي مَنحَ النّص جَمالًا فِي الإيقاع، وَأغنى الدّلالة، فَإذا تَأملنا كَلمة (لَبيكَ) نَجد أنَّ هَذا الإيقاع يُناسبُ المَعنى المَقصود، فصوت الكَاف الشدِيد يَتناسب مَع شدّة تَلبِيّة أهل الجَنّة وَرضاهم، فَهذا الصّوت مُناسب لِتَصوير هَذا المَشهد الرَائِع مِن مَشاهِد خِطَاب اللهِ لأهلِ الجَنّة فَهمهم أنْ يُنجّيهم الله تعالى من أليم عذابه، وشديد بطشه، وَتناسبت كلمة (سعديك) مَع الفاصلة السّابِقة.

وَالأمر اللافت أنّ صوت الكَاف لَم يُسبق بِياء مَديّة؛ لأنَّ المَدّ لا يناسب سرعة التّلبية وَالاستجابة وَالحضور، وَهذا يَدل عَى سُرعَة تَلبية العبد لِربّهِ، كَما أنّ استجابَة الحضور جَاءت عَلى مَراتب فَبدأ بِكلمة (لَبيك) أي التّلبية، ثُمّ (سعديك) الّتي فِيها حضور إسعادِي، وَانتهى بـ(بَين يدَيك) أي الوجود، وَهذا يَدلُّ عَلى التّدرج فِي استجَابَة النِّداء وَالطَلب.

وَمن التّوازِي فِي الفَواصِل قَول الرّسول –صلى الله عليه وسلم–: "**إنَّ الله تَعَالى كَتَبَ فِي أُمّ الكِتَابِ قَبْلَ أَنْ يَخلقَ السَّمَوات وَالأَرض: إنّي أَنَا الرَّحمن الرَّحيم، خَلَقتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقتُ لَها اسمًا مِنْ اسمِي فَمَن وَصَلَها وَصَلتُه، وَمَنْ قَطَعَها قَطَعْتُه**"[2].

إنَّ النّاظرَ في هَذا الحَديث يَلمح التّركيب الصّوتِي الصرفي البَديع، فَالتّوازِي فِي هَذا الحَديث قَائِم عَلى التّقابَل بَين (وصلها وَقطعها) وَ (وَصلته وَقطعته)، وَهذا يمنح التّركيب هندسةً لَفظِيَّةً بَديعَةً، وَتناظرًا صوتيًّا صرفِيًّا بينَ الكلمات المُتَقابلة، كَما يَمنح النَّص تَنوّعًا دِلالِيًّا وَاضحًا، مِمّا يُسهم فِي رَسم الإطار العام للمعنى وَهو الضدّية وَالمنافَرة بَين الإنسان الّذي يَصل رَحمه وَنتيجة ذلَك، وَالوجه الآخر الّذي يَقطع رَحمه وَالنّتيجة المُتَرَتبة عَلى ذلِكَ؛ الأمر الّذي "يمنح النّص قدرة عَلى رَبطِ أجزائِهِ، وَيضفي عَليه صفة الاستمراريّة الدّلالِيّة؛ لأنَّ المُتَلَقِي عندما تَطرق سَمعهُ الألفاظ المُتقابِلَة يَضطر ذِهنه إلى المُقارنَة بَينها، وَإيجاد الفروق الدّلالِيّة عَلَى مستوى المضمون، لِذا فإنَّ الّذهن يكون مُتَنقّلًا بَين مُفردَات النّص، بَاحِثًا عَن الأواصِر الدِلالِيّة بَينها، وَمن ثَمَّ يَتحَقّق الفِهم وَالإدراك"[3]

فَالمقابَلة بَين (وَصَلَها وَصَلتُه) وَ (قَطَعَها قَطَعْتُه) يَعكس لَنا عن مُفارقة وتناقض بَين حَال المؤمن الّذي يُحسن إلى أهله، وَيصلهم فَينال الأجر العَظيم من الله –سبحانه وَتعالى–، وَيحسنُ اللهُ إليه وَيرفق بِه، وَبين حَال الّذي يقطع رَحمه، ويهجرُ أهله، وَلم يُحسن إليهم، فَيقطعه الله من رحمته وَإحسانِه.

---

[1] فاضل، تامر: **مدارات نقدية فِي إشكالية النّقد وَالحَداثة وَالإبداع**، ط1، بغداد: دار الشؤون الثّقافيّة، 1987م، ص234.

[2] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسية**، ص232.

[3] عباس، تَحسين فَاضل: **التّوازي الإيقاعِيّ في الحكم وَالمواعِظ فِي نَهج البَلاغة دِراسة دِلاليّة**، جَامعة الكوفَة، كلّيّة الآداب، مج(10)، ع(37)، ص62.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

وَيمكن القَول إِنَّ المقابلة فِي المَعنى تَبعها مُقابَلة صَوتِيّة، أكدّت المَعنى وَوَثّقته، وَبِذلكَ تَكون "المقابلة دَليلًا عَلى التّقابل النّغمي الموسيقي فِي اللفظ، فَيزداد المَعنى بِها وضوحًا وَتَأكيدًا"[1]، لِذا كَانت ألفاظ هَذا الحَديث دَقيقة، وَأصواتها منسجمة مَع المَعنى المَقصود، فَصوت التّاء جَاء مُناسبًا وَعزز من قِيمة المقابَلة، فَجمع هَذا الصّوت بَين صفتين متناقضتين قَوةً وَضعفًا، فصوت التّاء مهموس انفجارِي تَناسب مع المَعنى، فَالله –سبحانُه وَتعالى– قَويّ قَادرٌ عَلى كلّ شيء، فَهو يُحسن وَيرفق بالإنسان الّذي يَصل رحمه، وَفي المقابل يَقطع رَحمته عَن الإنسان الّذي يَقطع رَحمه، كَما أنَّ صَوت الهَاء فِي ضعفِهِ جَاء منسجمًا مَع ضعف العَبد وحَاجته للهِ –سبحانه وَتعالى– فِي الحَالَتين.

كَمَا أنَّ هَذا التّوازي الصّرفِي الصّوتِي فِي هَذا الحديث يُريح السّامِع "أمّا إذا اختَلَفَ تَوازِي إيقاع كل مِنهما مَع الأخرى، من حَيث الطّول فِي بَعضها، وَالقصر فِي بعضها الآخر، فَإنَّ السّجع لَا يضحكون مقبول؛ لِأنَّ النّفسَ عندما تَسمع إيقاع الفصل الأول من الفقرة المزدوجة المسجوعة، تَتوقع إيقاعًا مماثلًا يوازنه وَيعادله وَيساويه في الفصل الثّانِي منها، فَإذا قَصرَ عَنه، فَإنّها ستبقى تَتطلع إلى مَا يشبع حسّها، وَيكمل توازن إيقاع الفصل الثّانِي مَع الأول، فَتكون كَمن يُريد الانتِهاء إلى غَايَة فَيعثر دونَها"[2].

وَيمكن القول إِنَّ الأحادِيث القُدسيّة تَتميّز بكثرة التّوازِيات الصّوتيّة الصّرفِيّة، الّتِي لَها أثر فَعّال فِي إثراء الجَانب المُوسيقِيّ وَالإيقاعِي فِي الكَلام مِمّا يُضفِي عَلى جرس ألفاظِها جَمالًا موسيقِيًّا جَذّابًا، يَنسجم مع سياق الأحادِيث القُدسيّة وَيزيد التّعبير النّبوي إيقاعًا صوتِيًّا رتيبًا وَمؤثرًا، لِذا فَقد أشار العقّاد بِقوله: "ومَذهب الرسول في هَذهِ الحِلية اللّطيفة، مذهبه فِي كُل حِليَة تَليق بِالرّجل، فُحولَة بِالقَول، وَفحولَة فِي الزّينة، فَسجعهُ عَليه السّلام كَحليَةِ الّذهب... وَلا مزيد"[3].

المبحث الرابع: الفواصل باعتبار الوزن ودورها في توجيه المعنى في الأحاديث القدسيّة.

تُعدُّ الفَاصِلَة المتوازنة من أكثر أنواع الفَواصِل حضورًا فِي الأحاديث القدسيّة، وَالمتوازن[4] من الفَواصِلِ هو مَا اتّفقَ فِيه الوزن دون الحَرف، كَقوله تَعالى: ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيّ مَبْثُوثَةٌ**﴾[5]، لِذا فَإنَّ التّوازن لون من ألوان الإيقاع الموسيقِيّ اللافت، الّذي يَقوم عَلى تَوازن الألفاظ من حَيث الإيقاع وَالوزن، الأمر الّذي يُسهم قِي إثراء المَعنَى.

وَقدْ أكسب تَوازن الفَواصل في الأحاديث القُدسِيّة النّصوصَ طَابِعًا موسِيقِيًّا لافِتًا يُومئ بِالمَعنى المَقصود، وَيعَمّق الفِكرة، وَينتج قِيم أسلوبِيّة وَإيقاعِيّة فَريدَة، فَالتّوازن الصّوتِي دَقيق محكم فِي الحديث القُدسيّ، وَمن الأمثلة

---

[1] صبح، عَلي: **البناء الفني للصورة الأدبيّة عند ابن الرّومي**، ط1، مطبعة لأمان، 1976م، ص 322.

[2] ناجِي، عبد الحميد: **الأسس النّفسيّة لأساليب البلاغة العربيّة**، بيروت: المؤسسة الجامعيّة للدّراسات، 1985م، ص63.

[3] العقاد، محمود عباس: **عبقرية محمد**، دار الكتاب اللبناني، 1984م، ص84.

[4] الزركشيّ، بدر الدّين محمد بن عبد الله (ت794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبو الفضل الدمياطِيّ، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث، 2006م، ص63.

[5] سورة الغاشية، آية (16–15).

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

عَلى ذلِكَ قَول الرّسول –صلى الله عَليه وَسلم–: "**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ: لِمَ تُقَنِّطُ عِبَادِي؟ قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: سَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا**"[1].

لَعلّ المُتأمل في هَذا الحَديث يَلمح التّوازن المُتضاد الّذي يَحصل بَينَ الكَلِمَتين المُتَّحدتين في الوزنِ المُختلفتَين فِي الدّلالَةِ، حَيث تُسهم المُخالفَة فِي تَغذية الإحساس فِي المُوسيقى اللّفظِيّة لِلعبَارَة، كَما أنَّ الأمر لا يَقتصر عَلى التّوازن القَائِم بَين الفَاصِلتين، فَالجملتان مُتوازيتان، مُتساويتان في الألفاظ، مُختلفتان في الدّلالة، وَالتّقابلُ بَينَهما يُحدِثُ أثرًا صَوتيًّا وَنغمًا عَذبًا، فَالتّوازن ظَاهرٌ بين المُتقابِلات (لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا) و(وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)، "فَالمُقَابَلةُ مَن الأساليب القَادِرَة عَلى مُخَاطَبَة قُوى النَّفس جَميعَها، وَذلِكَ بِتحريك قوّة العَقل وَتنشيط قوّة الشّعور، وَتفعيل غَريزة حبّ الاستطلاع، وَيَتمّ اللّجوء إليّها لإقامَة الحجّة عَلى النّاس، وَتحريك قُلوبهم وَعقولهم، لِمعرفَةِ الحَقّ وَمقتَضايته وَتمييزيه عَن الباطل وَأشكالهِ"[2]. والّذي أثّر فِي التّوازن الصوتي في هذا الحَديث هو قرن الضحك بِالقليل وَالبكاء بِالكَثير، وَهذا التّلازم في الفاصلَتين بَين المتضادات يَترك أثرًا في النَّفس، فَدلالة الضحك مع القليل تنبئ بِحرمَان، كَما أنَّ البكاء الكَثير يوحِي باليأس وَالمصيبة، وَربَّ سائلٍ يَسأل مَا دِلالَة التَّوازن فِي الفَاصِلتَين (قَليلًا، كَثيرًا)؟

يُمكن القَول: إنَّ التّوازن لَهُ أبعاد دِلاليّة فِي القَصدِ وَالمَعنى، فَقد جَاءت الكَلمتان عَلى وَزن واحِد مِن أوزان الصّفة المُشبّهة (فَعيل)، وَرغم أنَّ الكَلِمَتين ليستا على توافق في الحرف، إلّا أنّ صِفاتهما تناسب المعنى وَتزيده قَوةً فِي دَلالَتهِ وَمقصِدهِ، وَهذا الوزن (فَعيلا) فِيه تَدّفق وَانفِتاح يَزيدهُ حَرف المدّ وضوحًا وَحسن دلالة، وَالملاحظ في الكَلمتين انسجام مَع المَعنى، فَكَلمَة (قَليلًا) المُنتهِيَة بِاللام تُعبّرُ عَن مِقدَار الضّحك القَليل، فَاللام صَوت ليس فِيهِ تَردد وَلا تَكرار، وَكذلِكَ كَلِمَة (كَثيرًا) المُنتهِيَة بِالرّاء تُعبّرُ عَن مِقدار البُكَاء الكَثير، فَمن صِفات صوت الرّاء التّكرير، وَهذا فِيهِ تَمَام الدّلالة مَع حسن التّوافق بَين اللفظِ وَالمَعنى يُحَقّقهُ هَذا الانسجام في كَلمات الفاصِلة، وَتوافق صفات الحروف مع دِلالة الألفاظ المُعبّرة عَن المَعنى والموضّحة لَه ضِمن السّياق العَام.

وَمن الأمثلَة عَلى الفَواصِل المُتوازنَة قَول الرّسول –صلى الله عَليه وَسلم–: "**كانَ رجلانِ في بني إسرائيلَ مُتواخيينِ فكانَ أحدُهما يذنِبُ والآخَرُ مجتهِدٌ في العبادةِ، فكانَ لا يزالُ المُجتهِدُ يرى الآخرَ على الذَّنبِ فيقولُ: أقصِر فوجدَهُ يومًا على ذنبٍ فقالَ لهُ: أقصِر فقالَ: خلِّني وربِّي أبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقالَ: واللَّهِ لا يغفرُ اللَّهُ لكَ أو لا يدخلُكَ اللَّهُ الجنَّةَ فقبضَ أرواحَهما فاجتمعا عندَ ربِّ العالمينَ فقالَ لهذا المُجتهِدِ أكنتَ بي عالِمًا؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِرًا؟ وقالَ للمذنبِ: اذهب فادخلِ الجنَّةَ برحمتي، وقالَ للآخرِ: اذهبوا بِهِ إلى النَّارِ**"[3].

لَعلَّ المتأمّلَ في هَذا الحَديث يَلمح التّوازن الصّوتِي الصّرفيّ فِي تكرار الكلمتين (قَادرًا، عَالمًا) وَوزنهما (فَاعِلًا)، وَمجيء هَاتين الصّيغَتين فِي هَذا الحَديث يُشكّلُ بؤرَةً إيقاعِيّةً تَزيدُ مِن الإيقَاعِ الدّاخِليّ وَتنسجِمُ مَع المَعنى المَقصود.

كَمَا أنَّ تَكرار اسم الفَاعِل منح الحَديث نَغمَة مُوسيقِيّة جَميلة، فَصيغَة اسم الفَاعل "تمنح المتلقِي دَافِعيّة لِفعل الخَير إنْ لَم يَكن مِن أهلِهِ، أمّا إذا كَان من أهلِهِ فَإنَّه تُحفّزه لِلاستمرارِيّة فِي العَمل"[4]. كَما أنَّ هَذهِ الفَاصِلَة

---

[1] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص41.

[2] باطاهر، ابن عِيسى: **المقابلة في القرآن الكَريم**، ط1، دار عمار للنشر والتّوزيع، 2000م، ص220.

[3] العَدَوِي، مُصطَفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص36.

[4] ثعلب، أحمد بن يحيى (ت291هـ): **مَجالس ثعلب**، تحقيق: عبد السّلام هَارون، القَاهِرة: دار المَعارف، 1991م، ص227.

جَاءت في سياق الاستفهام الدّال على النّفي؛ لِتبيّن أنَّ الإنسان المُتَوهم عَلى أنَّه قَادر مُستطيع فَإنَّهُ لَا يَملك مِن أمرهِ شَيء أمَام قدَرة الله، وَالوزن (فَاعِلًا) بِهذا الإطلاق بِالألف المدّية فِيه سهولة بِالنّطقِ تُوحي بالقُدرَةِ عَلى ضبط الأمور وَالتّحكم بِهَا، كَمَا أنَّ صَوتَي الميم وَالرّاء اللّذان جَاءا متقابلَين فِي نِهَايَةِ الكَلِمَتين يُغذيان الدّلالة المَعنوِيّة لِلنّص بِصفاتهما، وَقد نَلمح التّوافق منسجمًا فِي حروف كُلّ كلمِة مَع المَعنى الّذي تؤدّيه فَكَلِمة (عَالِمًا) جَاءت بصوت العين المُرقّق وَكأنّها توحِي بِأنَّ العِلم يَحتاجُ إِلَى رَوِيّة وَهدوء، بَينَما جَاءت كَلِمَة (قَادِرًا) مُبتدِئَة بِصوت مفخّم مَتلو بِمد يَأخذ تَفخيم الصّوت، وَكأنّهُ يوحِي بِالقوّة اللازِمَة لِلقُدْرَة، وَفِي هَذا التّوازن البَديع المُحكم دِلالَة عَلى المَعنى المَقصود، فَهناك علاقة قَوِيّة بَين الإيقاع الموسيقيّ وَالمّعنى الدّلالِيّ لِهذا الحَديث؛ "لِأنَّ ظَاهِرَةَ التّوازن الصّوتِيّ تَعمل عَلى استدعاء الطّاقات الانفعالِيّة وَالتّأثيريّة لَدى المُتَلَقِي، من حَيث شحن بنيَة النّص الدّاخِلِيَّة بِطَاقات مُتَجَدِّدة تَمنحهُ فَاعِلِيَّة فَنيّة وَإيقاعِيّة مؤَثِرَة"[1].

وَمن الفواصل المتوازنة قول الرّسول –صلى الله عليه وسلم–: **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يا ابنَ آدمَ إن تُعْطِ الفضلَ فهو خيرٌ لكَ وإن تَمسكْهُ فهو شرٌّ لكَ وابدأْ بمن تعولُ ولا يلومُ اللهُ على الكفافِ واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلَى**"[2]

تَظهر روعة الفاصلة المتوازنة في هذا الحديث في اشتمالهِ عَلى الطّباق، حيث اتّفقت الكَلمتان وَزنًا، وَتوظيف التّضاد له دور كبير في إبراز الجو الموسيقيّ، وَعلى الرّغم من التّقابل بَين الكَلمتين (العليا وَالسّفلى) في الجانب الإيحائيّ وَالدّلالة المعجمِيّة، إلا أنّهما يَتحدان اتّحادًا تامًّا فِي الوزن الصّرفي الأمر الّذي يمنح الكلام جَوًّا موسيقيًّا لافتًا مِمّا "يسهم بعمق في التّأثير الجَمالِيّ للكلام"[3]، وَيؤَدِيّ التّوازِي الصّرفيّ في صيغَتَي اسم التّفضيل (العليا وَالسّفلى) دورًا هامًّا في الموسيقى المنبعثة من هذا التّناغم، حَيث إنَّ هَذا التّوازِي أعطى لِلنّص قوةً تتناسب مع السّياق، وَأكسب الحَديث بعدًا إيقاعِيًّا وَدلاليًّا وَاضحًا، وَانسجم مع النسق العام للحديث الذي يدل على المفاضلة بين الأعمال وبيان مكانتها ومرتبتها في الفضل.

كَما أنَّ التّوافق فِي الفَواصلِ يَظهر خلال انسجام الأصوات، حَيث إنَّ صفات الحروف فيها تأتي متوافقة مع المَعنى، فَصوت الفاء مَع السين فِي كَلمة (سفلى) هما صوتان احتكاكيان مهموسان "وَهما صفتا ضعف"[4] فالفاء صوت فيه ضعف لا يقوم بالأمر وحده، بل لا بدَّ له من إسناد، كما أنَّ السين فيه ضعف أيضًا، وقَد يخفى من النطق إن لم نتنبه له، كل هذا يوحي بالدونية والضعة لمن ينتظر من ينفق عليه أو يعطيه.

كما أنَّ صوت العين الحلقيّ في كلمة (العليا) "من الأصوات الّتي يُصاحبها نَغمة موسيقيّة"[5] وَهو يوحي بعلو مكانة المنفقين، وارتفاع شأنهم، كما أنَّ رسمَ الألف في الكلمتين لهُ دلالة معنويّة، فَقد جاءت في كلمة (العليا) قائمة شامخِة تُوحي بالرفعةِ والمكانةِ العاليةِ لمن ينفق، أمَّا فِي كَلمة (السُّفلى) فَقد جَاءت الألف سفليَّة على صُورةِ الياءِ دلالة على دونيَّة المكانَة لمن يَأخذونَ ولا يُعطونَ، وكلُّ هَذه الإشارات تَخدم المَعنى العَام وتقوّيه.

---

[1] بويران، وَردة: **التّوازن الصّوتِيّ بَين التّكرار وَالتّوازِي في شعر لَيلى الأخيليّة (دِراسة في أساليب البَدِيع العَربِيّة)**، مجلّة التّواصل في اللغات وَالآداب، مج(23)، ع(52)، 2017م، ص36.

[2] الصباطي، غصام الدّين: **جامع الأحاديث القدسيّة**، دار الحديث للطباعة وَالنّشر، (د.ت)، 172/1.

[3] دياب، محمد حافظ: **جماليّات اللّون في القَصيدة العَرَبيّة**، مجلة فصول، مج(25)، ع(2)، 1985م، ص25.

[4] بركة، بسّام: **علم اللغة العام**، ص121.

[5] السعران، محمود: **علم اللّغة (مُقدّمة لِلقارئ العربِيّ)**، ص178.

وَمن الأمثلة الأخرى عَلى الفواصل المتوازنة قَول الرَّسول –صلّى الله عَليه وَسلم–: "**إنَّ الله تَعَالى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قال: فذَلِكِ لَكِ**"[1].

يظهر التّوازن الصّوتي فِي هَذا الحدِيث جَلِيًّا فِي الكلِمتَين (وَصلك وَقطعَك) وَوَزنهما (فَعَلَك)، وَهذا التّوازن المحكم يُشكّل بؤرةً إيقاعِيَّة لافِتَة تَزِيدُ مِن دَرَجة الإيقاعِ، وَتتَنَاسَب مَع المَعنى المَقصود، فاتّفاق الفاصلتين في الوزن يَمنح النّص ثَراءً نَغَميًّا لَافِتًا، وَيكشف عَن المَعنى المَقصود، فَهذا الحَديث يَتحَدث عَن وجوب صِلَةِ الرّحم، وَالحَذر من قَطيعَة الرّحم.

وَذكر العلماء أنَّ صِلَة الرَّحم تَكون بِالمَالِ، وَبالعَونِ عَلى الحَاجَة، وَبِدَفع الضر، وَبالدّعاء، وَالمَعنى الجَامع إيصال مَا أمكن مِن الخَير، وَدَفع مَا أمكن من الشَّر بِحسب الطّاقَة، وهذا لا يكون إلّا إذا كَانَ أهل الرّحم أهل استقامَة[2]، وَقد جَاءت أصوات الفَاصِلتين مُنسجمة مَع مَعنى الحَديث، فالفعل (وصل) جاءت صفات حروفه فيها لين ورقة تَخلق جَو من اللين وَالرّقة، فَصوت اللام يَمتاز بالليونَة وَالوضوح السّمعِيّ، وَقد وَذكر حسن عَباس أنّ صوت اللام يُوحِي "بمزيج من الليونَة وَالمرونَة وَالتَّماسك وَالالتِّصاق"[3] وَهَذه الصّفات تَتناسب مع صلة الرّحم الّتي تَطلب اللين وَالرّقّة وَاللّطف، والّتِي تُؤَدّي إلى التّماسك وَالالتّصاق بَين الأرحام، كَما جَاء صوت الواو وَهو من أصوات اللين مُنسجمًا مع المعنى أيضًا.

كما أن الفعل (قطع) جاءت صفات حروفه يغلب عليها صفة الاستعلاء في القاف والطاء، فَصوت القَاف مِن أكثر الأصوات المفخمة ذكْرًا؛ "لأنَّ فِيه قوّة وَصلابَة وَقسوة وَشدّة"[4] وَهذا الصوت يتناسب مع القسوة، وَيدل على الغلظة التي تشعر بعدم الارتياح؛ لينسجم ذلك مع فحش القطيعة وسوئها، وهذا كلّه أيضًا حسن انسجام بين اللفظ والمعنى.

وَقد جَاءت الكَلمتان (وَصلك وَقطعك) عَلى وَزنٍ وَاحِدٍ، وَكل مِنهما جُمْلَة مكوّنة مِن فِعلٍ وَفاعِلٍ ومَفعولٍ بِهِ، وَقَدْ جَاءَ المفعولُ بِهِ فِيهما ضَميرًا مُتَّصلًا وَهوَ (الكاف)، وَهَذهِ لَفتةٌ مُبارَكَةٌ، وَإشارَةٌ وَاضحَةٌ إلى مَكانةِ الوصلِ فِي العلاقةِ مع الرَّحمِ وَبيان فَضله وَأنَّه هُو الأحق والأولى، كَما أَنَّ الفعلين (وصل و قطع) جَاءا عَلى صِيغَةِ المَاضي؛ لبيان أَنَّ الأَمرَ قَدْ تَمَّ وَانتَهى، وَهوَ قرار نافذ وَحكم قاطع لا رَجعة فيهِ، وفي هذا تأكيد للمعنى وتقوية له. وَمن الفَواصل المتوازنَة قَول الرّسول –صلى الله عَليهِ وَسلَم–: "**كُنْتُ مع النَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على حِمارٍ، وعليه بَرذَعةٌ أو قَطيفةٌ، قال: وذلك عندَ غُروبِ الشَّمسِ، فقال لي: يا أبا ذَرٍّ هل تَدْري أين تَغيبُ هذه؟ قال: قُلْتُ: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: فإنَّها تَغرُبُ في عَينٍ حامِئةٍ، تَنطَلِقُ حتى تَخِرَّ لرَبِّها ساجدةً تحتَ العَرشِ، فإذا حانَ خُروجُها أذِنَ اللهُ لها، فتَخرُجُ فتَطلُعُ، فإذا أرادَ أنْ يُطلِعَها من حيث تَغرُبُ حبَسَها، فتقولُ: يا رَبِّ، إنَّ مَسيري بعيدٌ، فيقولُ لها: اطْلُعي من حيث غِبْتِ، فذلك حينَ لا يَنفَعُ نفْسًا إيمانُها**"[5].

---

[1] العَدَوِي، مُصطفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص232.

[2] ينظر: العسقلاني، أحمد بن عَلي بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدّين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، (د.ت)، 439/15.

[3] عباس، حسن، **خصائص الحروف العربيّة وَمعانيها**، ص41.

[4] أنيس إبراهِيم: **موسيقَى الشّعر**، ص265.

[5] العَدَوِي، مُصطفَى: **الصَّحيحُ المُسْنَدُ مِنِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة**، ص286.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

جَاءت الفَاصلتان (حَامئة وَساجِدَة) مُتوازنتان فِي الوَزن فهما على وزن واحد على (فاعلة)، وهذا الوزن يدلُّ على المبادرة لِلقيامِ بالفعلِ، كَما أنَّ لإطلاقِ الألف فِي وَسطِ كلّ واحدةٍ من هَاتين الكلمتيَن الّتي تَأتي مُنتصبةً شامخةً يدلُّ أيضًا على تمام المعنى وَكماله، فَكأنَّ دلالة اسم الفاعل توحي بالعملِ والجدِ والنَّشاط الَّذي يجب أنْ يكونَ عَليه حَال العبدِ طاعة للهِ وعبادة له، وَكذلكِ حَال الكون كلّه فِي الوقوف والاستعداد لتنفيذِ أمر الملك الجبار، لِذا جَاءت الصيغتان مشحونتان بِدلالاتٍ متوافِقة مع الإيقاع الدّاخِلي، حَيث كَان لَها تَأثير كَبير فِي النّص، الأمرَ الّذي عَمَّق الدِّلالَة وَقوّاها.

وَلعَلَّ اللافِت لِلنَّظَر، أنَّ أصوات الفَاصِلَتين انسجمَت مَع المَعنَى العَام، فَصوت الهَمزة الَّذي يَتميز بِالوضوحِ فِي الفَاصِلَة الأولى (حَامِئَة) انسجمَ مَع الفِكرَة الرّئيسيّة الّتِي يَدورُ حَولَها الحَديث، وَهي موضوع عَلامات قِيام السّاعَة الكُبَرى، وَيستشعرُ أهميّة هَذا المَوضوعِ فِي ثُقل هَذا الصّامِت عَلى اللّسان.

كَما نُلاحِظُ سَيطرة الأصوات المَجهورَة فِي الفاصِلَة الثّانِيّة (سَاجِدَة)، وَهذا انسجمَ مَع الفكرة العَامّة لِلحديث، فَطبيعَة الفِكرة تتحدث عَنْ أمرٍ عَظيم، فَهي تَحتاجُ ملمَحًا انْفِجَارِيًّا قَوِيًّا يَكون لَهُ أَثره فِي نَفس السّامِع، كَمَا أنَّ صوت السين فِي الفَاصِلَة (ساجِدَة) يَدلُّ عَلى "الحَرَكة وَالطَلَب"[1]، وَهَذا يَتناسب مَع حَرَكة الشَّمس الّتي تَخرُّ لربها ساجِدة يَوم القِيامَة، كَما أنَّ هَذا الصّامت "يَدلُّ التنبيه وَالشِّدَة لِكونِهِ صَوتًا صَفيرِيًّا"[2]، مِمّا يمنحُ الكَلِمَة جِرسًا مُوسيقِيًّا يَجعله مُناسِبًا لِلفِكْرَةِ.

كما أنَّ أَصوات الفَاصلتَين جاءت صفاتهما في غالبها في باب الأَصوات المرقَّقة، وَذلِكَ يُوحي بِالرِّضى وَالخُضوعِ لأمرِ الله وَسلطانِه، وَكلّ ذَلكَ يَجتَمعُ لِلقيامِ بِالمَعنى وَالدّلالة عَليهِ.

وَيمكنُ القَول: إنَّ الفَاصلَة المُتوازِنة مِن أبرزِ أَنواع الفَواصل حُضورًا فِي الأحادِيثِ القُدسيّة، فَهذا التّوازن لَيس مُجرد أوزان وَأشكال عَابِرَة، بَلْ مَنَحَ الأحادِيث القُدسيّة طَابعًا جَماليًّا وَملمحًا موسيقِيًّا لَافِتًا، أكسبَ المَعنى حُسنًا، وَأنتَجَ قِيمًا أسلوبِيّة وَإيقاعِيّة فَرِيدَة ضاعَفت مِن تَماسِك الخِطَابِ النَّبوِيّ، حَيث تَلوَّن كلُّ حَديثٍ مِن الأحادِيث بِلونٍ إيقاعِيّ خَاصّ، انسجَمَ مَع دِلالَته، فَكَانَ الأسلوبُ وَاضحًا وَالمَعنَى دَقيقًا، فَالنَّغمَات الصَّوتِيّة لَيست ثَابِتَةً عَلَى نَمطٍ وَاحِدٍ بَلْ تَتَغير مِمّا يَجعل القَارئ مَشدودًا إِليهَا.

الخاتمة

بَعْدَ الانتهاء من هذا البحث، دِلالات مُوسِيقَى الأَلفَاظ فِي الأَحادِيثِ القُدسِيَّةِ، فَقَدْ آلت الدِّرَاسَةُ إِلَى النَّتَائِجِ الآتِية:

- امْتَازَت الأَحَادِيثُ القُدسِيَةُ بِحسنِ الإِيقَاعِ وَجَمَال المُوسِيقَى، فَمُوسِيقَى الأحَادِيث القُدسِيَّةِ مِن أَرْوَعِ أَنواعِ المُوسِيقَى اللُّغَوِيَّةِ، وَأَفْضلهَا تَأْثِيرًا، وَأَكْثرهَا تَناغمًا، مِنْ حَيث تَجَانس الأَصوات وَتَقَاربها، وَمِنْ حَيث اخْتِيار الأَصوات المُنَاسِبَة لِلحَدَثِ، فَهُنَاكَ علاقَةٌ قَوِيَّة بَينَ الإِيقَاعِ المُوسِيقِيّ، وَالمَعنَى الدِّلالِيّ لِلنُّصوصِ القُدسِيَّة، فَدِقَّةُ اخْتِيار الأَلْفَاظ المُشْتَمِلَة عَلى الإِيقَاعِ المُوسِيقِيّ فِي نصوصِ الأَحَادِيثِ القُدسِيَّة، جَعَلَهَا تَنْسَجِمُ مَع المَعْنَى المَقْصود، وَالمُرادِ مِن الحَدِيثِ.

---

[1] الأرسوزي، **زكي: العبقريّة العربيّة في لسانها**، ص48.

[2] النوري، محمد جَواد: **فصول في عِلم الأصوات**، ص237.

- الفَواصِل فِي الأحادِيثِ القُدسيّة لَمْ تَلتَزم روِيًّا وَاحِدًا، وَلَمْ تَقتصر عَلى نَوعٍ وَاحِدٍ، فَجاءت فَواصِلها مُتماثِلة وَمتقَارِبة وَمتوازِيَة وَمتوازِنَة، وَكانت الفَاصِلَةُ المتوازِية أكثرها، وَالمتقاربَة أقلّها فِي الأحاديث القُدسيّة.
- جَاءَت الفَاصِلَةُ فِي الأَحَادِيثِ القُدسِيَّةِ حَامِلَةً تَمَامَ المَعْنَى، وَتَمَام التَّوافُقِ الصَّوْتِي فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَقَدْ رَاعَت الإِيقَاع وَالدِّلالَة مَعًا، فَلَمْ تَأْتِ الفَاصِلَةُ اعْتِبَاطًا أَوْ لَغْوًا، وَإِنَّمَا جَاءَتْ مُرْتَبِطةً بِالدِّلالَةِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْهَا، وَمُنْسَجِمَةً مَع مَعْنَى الحَدِيثِ.
- تَنَوَّعَت أواخِرُ الفَوَاصِل فِي الحَدِيثِ القُدسِيّ الوَاحِدِ، مِمَّا أَحْدَثَ تَنوّعًا إِيقَاعِيًّا وَدِلالِيًّا، يَتَنَاسَبُ مَع سِياقِ الحَدِيثِ.

المصادر وَالمراجع

- الأَرْسوزِي، زَكي: **العَبْقَرِيَّةُ العَرَبِيَّةُ في لسانهَا**،(بدون طبعة)، دِمشق: مَطبعة الحياة، (د.ت).
- باطاهر، ابن عِيسى: **المقابلة في القرآن الكَريم**، ط1، دار عمار للنشر والتّوزيع، 2000م.
- بولخطوط، محمد: **الصفات الصوتِيّة الخَاصة بصوتي الراء وَاللام في اللغة العربيّة**، مجلة جيل الدراسات الأدبيّة وَالفكريّة، عدد (48).
- بويران، وَردة: **التّوازن الصّوتِيّ بَين التّكرار وَالتّوازِي في شعر لَيلى الأخيليّة (دِراسة في أساليب البَدِيع العَرَبِيّة)**، مجلّة التّواصل في اللغات وَالآداب، مج (23)، ع(52)، 2017م.
- ثعلب، أحمد بن يحيى (ت291هـ): **مَجالس ثعلب**، تحقيق: عبد السّلام هَارون، القَاهِرة: دار المَعارف، 1991م.
- ابن جِنّي، عُثْمَان أَبو الفَتْحِ (ت392هـ): **سِر صِنَاعَةِ الإِعْراب**، ط1، بَيروت: دَار الكُتب العِلْمِيَة، 2000م.
- حَسَّان، تَمَّام: **مَنَاهِجُ البَحْثِ فِي اللُّغَةِ**، ط2، الدَّارُ البَيْضَاء: دَارُ الثَّقَافَة، 1974م.
- الحِمْلاوِي، أَحْمَد بن محمد: **شَذَا العُرف فِي فَن الصَّرف**، بَيروت: دَار الكُتب العِلْمِيَّة.
- أَبو حَميدَة، مُحَمَّد صَلاح: **القَضايا البَلاغيَّة وَالأُسْلوبيَّة في مفْتَاح العُلوم لِلسَّكَاكِي**، أُطروحَةُ دكتوراه مَخْطوطَة بكُلّيَّة الآدَاب، القَاهِرة: جَامعَة عين شَمْس، 1991م، ص324.
- الحَنْبَلِي، أَبِي عَبْد الله مُحَمَّد بِن عَبْد الوَاحِدِ (643هـ): **صِحَاحُ الأَحادِيث فِيما اتَّفَقَ عَليه أَهْلُ الحَديث**، تَحقِيق: أَحْمَد حَمْزَة الزّين، بَيروت: دَار الكُتبِ العِلْمِيَّة، 1990م.
- الخفاجِيّ، ابن سنان: **سرّ الفَصاحَة**، تحقيق: عبد المتعال الصعيدِيّ، (يدون طبعة)، مصر: مكتبة محمد صبيح، 1953م.
- دياب، محمد حافظ: **جماليّات اللّون في القَصيدة العَرَبيّة**، مجلة فصول، مج(25)، ع(2)، 1985م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرّمانِيّ وَالخطّابِي وَعبد القاهر الجرجَانِيّ في الدّراسات القرآنِيّة وَالنّقد الأدبِيّ، تحقيق: محمد خلف الله.
- الزركشي، أَبو عبد الله بدر الدين (ت794هـ): **البرهان في علوم القُرآن**، تحقيق: محمد أَبو الفضل إِبراهيم، ط1، دار إِحياء الكتب العربيّة، 1957م.

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

- زميت، هشام: **جماليّات التّوازي الصّرفي في شعر ابن الرّوميّ** (دراسة وصفيّة تحلِيليّة)، مجلّة علوم اللّغة العَربِيّة وَأدابها، مج (13)، ع(01)، 2021/3/15.
- سِيبَوَيهِ، أَبُو بشر عَمرو بِنْ عُثْمَان (ت180هـ-185هـ): **الكِتَاب**، تَحْقِيق: عَبْد السَّلام مُحَمد هَارون، ط3، القَاهِرَة: مَكْتَبَة الخَانجي، 1988م.
- ابن سنَان، عَبْد الله ابن محمد: **سِر الفَصَاحَة**، بَيْروت: دَار الكُتُب العلْميَّة، 1988م.
- الصباطي، غصام الدّين: **جامع الأحاديث القدسيّة**، دار الحديث للطباعة وَالنّشر، (د.ت).
- صبح، عَلي: **البناء الفني للصورة الأدبيّة عند ابن الرّومي**، ط1، مطبعة الأمان، 1976م.
- عباس، تَحسين فَاضل: **التّوازي الإيقاعِيّ في الحكم وَالمواعِظ فِي نَهج البَلاغة دِراسة دِلاليّة**، جَامعة الكوفَة، كلّيّة الآداب، مج(10)، ع (37)، 1998م.
- ابن العدوي، مصطفى: الصحيح المسند من الأَحادِيث القُدسية، ط1، طنطا: دار الصحابة لِلتّراث، 1989م.
- العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت806هـ): **طرح التثريب في شرح التقريب**، ط1، القاهرة: دار الفكر العربيّ، (د.ت).
- العسقلاني، أحمد بن عَلي بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محب الدّين الخطيب، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).
- العقاد، محمود عباس: **عبقرية محمد**، دار الكتاب اللبناني، 1984م.
- عميرات، زكريا: **الأحاديث القُدسيَّة الصحيحة**، ط1، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1971م.
- فاضل، تامر: **مدارات نقدية فِي إشكالية النّقد وَالحَداثة وَالإبداع**، ط1، بغداد: دار الشؤون الثّقافيّة، 1987م.
- قبها، مُحمد عِناد: **التَّحلِيلُ الصَّوْتِيّ لِلنَّصِ**، ط1، عَمَّان: دَارُ أُسامَة، 2013م.
- كنوني، محمد: **التّوازي ولغة الشعر**، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، عدد (18)، 1999م.
- ليمونة، مدحت حسني: **البَلاغَة الصَّوتِيَّة فِي الأَحادِيث النَّبويّة**، جَامِعة الأَزهر: كِلِيَّة اللُّغة العربيّة، (د.ت).
- حسّان، تمَّام: **البَيانُ فِي رَوَائِعِ القُرآنِ دِراسَةً لُغَوِيَّةً أُسْلوبِيةً لِلنَّصِّ القُرآنِيّ**، ط1، القاهِرةُ: عَالمُ الكُتُبِ، 1993م.
- مَهْدِي، مَنَاف: **عِلْمُ الأَصْوَات اللُّغُوِيَّة**، ط1، مَنشورات السَّابع مِن أبريل، 1993م.
- ابن منظور، جَمال الدّين محمد بن مكرم (ت711هـ): **لِسانُ العَرَبِ**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 2009م.
- ناجِي، عبد الحميد: **الأسس النّفسيّة لأساليب البلاغة العربيّة**، بيروت: المؤسسة الجامعيّة للدّراسات، 1985م.
- وقاد، مَسعود: **البنْيَة الإيقاعية في شعر فَدْوَى طوقَان**، رسالَة مَاجسْتير، جَامِعَة وَرقلة، 2003م

© جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والإبتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022